مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب: الخطاب النبوي في رقائق صحيح البخاري نموذجاً

*عاصم شحادة علي**

ملخص

يهدف هذا البحث إلى الإسهام في التّكامل بين التّراث اللغوي العربي المهتم بدراسة النّص، وبين لسانيات النّص الحديثة، بتتبع مظاهر الاتّساق والانسجام واستخراج المبادئ الّتي يمكن الاستفادة منها في تحليل الخطاب النّبوي في الرقائق، بعد صياغتها في منهجية مقترحة تراعي طبيعة النّص الديني (النّبوي). وتبرز هذه المنهجية الخصائص التّداولية مع الخصائص النحوية والمعجمية والبلاغية العامة.

درس الباحث مظاهر الاتّساق والانسجام من منظور الغربيين، والتّراث العربي القديم في علم النّص، واهتم من مظاهر الاتّساق بعنصر الوصل والفصل والحذف والاستبدال، والإحالة والاتّساق المعجمي، وأوضح الباحث أهمية الاتّساق في تفسير النّص النّبوي، وبيان مقصوده لدى المتلقي. وتناول الباحث من مظاهر الانسجام المقام والسياق والقرائن المعنوية، والمجاز والتّشبيه، وبعض عناصر القرائن اللفظية، مما تسهم في تحقيق انسجام النّص وفهمه فهما واعيا لدى المتلقي. ودرس جملة من مناهج تحليل النّص.

تبين من خلال تحليل مظاهر الاتّساق والانسجام في ضوء علم اللغة النّصي باستنطاق التّراث أن تراثنا اللّغوي في علم النّص تراث مليء بدراسات عميقة لمظاهر الاتّساق والانسجام في النّص. وقد أشار الباحث إلى الموضوعات التّراثية في علم النّص المماثلة لكل مظهر من مظاهر الاتّساق والانسجام عند الغربيين، وبينها بشكلٍ وافٍ. واتّضح في البحث أن مظاهر الاتّساق والانسجام تتصف بمرونة في التّطبيق، تلك المرونة الّتي تضمن لها عالميتها في مجال دراسات علم اللغة النّصي. وقد أبرز البحث صلاحيتها للنّص الديني وبخاصة الحديث النّبوي الشّريف، واقترح بعض الإجراءات في معالجة بعض الإشكاليات الّتي تواجه المتلقي في فهم النّص ومقصوده.

الكلمات الدالة: مفهوم الاتساق، مفهوم الانسجام، منهجية التحليل، تطبيق المنهجية، تحليل أحاديث الرقاق.

المقدمـــة

ثمة دراسات كثيرة تناولت الخطاب بأنواعه المختلفة، تحت عناوين متعددة، منها: تحليل الخطاب، ولسانيات الخطاب، ونحو النص وعلم النص، وهذه المجالات لم تترك اتساق النص وانسجامه، بل حاولت تحليل النص وفق المظهر التداولي،[1] وهو النظر إلى العلاقة القائمة بين النص والمتلقي، أو النظر إلى الخطاب ذاته، وتحديد وظيفته التواصلية، فضلا عن المظهر النحوي والدلالي والمعجمي. واعتنى هذا التحليل بفك بناء النّص لغويا وتركيبيا من أجل إعادة بنائه دلاليا، وسوف يستفيد البحث الحالي من دراسة الاتساق والانسجام في مناهج تحليل الخطاب، ومن الموروث اللغوي العربي القديم ذي الصلة بالنصية؛ إذ إن الغاية من التحليل النصي محاولة فهم الأحاديث النبوية الشريفة في رقائق[2] صحيح البخاري، وتفسيرها من خلال مكوناتها، وكشف أسرارها، وإدراك العلاقات فيها.

وفيما يلي عناصر المنهجية المقترحة لتحليل مظاهر الاتّساق والانسجام في أحاديث الرقاق، وهي: أولا: المعنى العام. ثانيا: الاتساق. أما أدواته داخل النص وخارجه فهي: أ. الإحالة وهي نوعان: - الإحالة المقامية[3] (إحالة إلى خارج النص). والإحالة النصية أو المقالية (إحالة داخل النص) وعناصرها: كالضمائر وأسماء الإشارة، والاستبدال (داخل النص)، والحذف (داخل النّص).

د- الوصل والفصل (داخل النّص)، كضمير الفصل والعطف.

هـ - الوصل بالعناصر المعجمية (داخل النّص)، كاللفظ المشترك، والتضام.

الفصل بالتأكيد، كصيغة الخطاب.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي الإسلامي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ماليزيا. تاريخ استلام البحث 2007/12/31، وتاريخ قبوله 2008/7/2.

ثالثا: الانسجام، وله حالتان داخل النص وخارجه:

(أ) عناصر الانسجام (داخل النّص).

- المقام: المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي)، والمستوى المعجمي.

الربط بين الجمل (داخل النّص)، ويكون في: القرائن اللفظية، والتشبيه (داخل النص)، والمجاز، والكناية، والرتبة.

(ب) عناصر الانسجام (خارج النص)، ويكون في: القرائن المعنوية، والسياق.

مفهوم النّص

تناول القدماء والمعاصرون النّص، واختلفوا في الرؤى والتّصورات تجاهه، فالقدماء نظروا إلى ترابط عناصر النص وتماسكها على أساس نظم الجملة، ابتداء من وحداتها الصغرى حتى مجمل النص الذي يتكون من جمل متتالية، ودلالة الألفاظ داخل الجملة،[4] فقد عرف سيبويه الكلام بأنّه الجملة المستقلة بنفسها الغانية عن غيرها، وجعل ذلك مقابلا للقول، ويؤيد هذا الرأي ابن جني بقوله: "إنّما وضع [أي الكلام] للفائدة، والفائدة لا تُجنى من الكلمة الواحدة، وإنّما تُجنى من الجمل ومدارج القول"[5]؛ وهذا يعني عند ابن جني أن القول أعم من الكلام. وقد قسم ابن هشام الجملة إلى صغرى وكبرى، مما يوحي بتقسيم الجمل إلى جمل بسيطة وجمل مركبة، وتناول تفسير الجملة وذكر أقسامها وأحكامها وذلك لبيان أن النص يعني تلك الجمل التي تتوالى في نص ما وبينها علائق، إما سابقة أو لاحقة.[6] وهذا يعني أن الجملة في العربية أعم من الكلام.

الاتساق وعناصره

أولا: الفصل والوصل: قد يكون الفصل لدى القدامى العرب في أدوات منها: (ضمير الفصل، والجملة المعترضة، والاستثناء المنقطع، وطرح الواو)، وهذا الذي ذكرناه أشار إليه القدامى مثل سيبويه والمبرد والفراء وابن جني وابن وهب والطبري والجاحظ.

وذكر القدماء أدوات للوصل تنحصر في الآتي: أولها موضع لا تصلح فيه الفاء.[7] والجملة تأتي موصولة مرة، ومفصولة أخرى لغرض التفسير.[8] ووصل الجملة الخبرية جوازا بالجملة الإنشائية خلافا للمشهور. [9] ويتوضح لنا من هذه الأدوات المجالات التي يمكن فيها الوصل بين الجمل، أو الربط وأدواته، حيث كان الربط لديهم من أجل أمن اللبس، كما ورد الوصل لدى القدماء للتميز تشريفا، أو لتوكيد تفرد العلم الإلهي بالتأويل.

وقد أعاد الجرجاني والزمخشري والسكاكي تشكيل مادة الوصل والفصل بطريقة تختلف عما ذكره الذين سبقوهم. ومن ذلك ما ذكره الجرجاني من أن الوصل يمكن في أمور عدة، منها:[10]

أ- الواو، ولها منزلة من بين أدوات الفصل لأنها تفيد مع الإشراك معاني، مثل: إيجاب الترتيب من غير تراخ.

ب- وصل الواو بين الأشباه والنظائر.

ج- وصل الواو بين النقائض لعلاقة.

د- عدم انحصار الوصل في حروف العطف فقط.

هـ- كون الوصل في المفردات مدخلا لمعرفة الوصل في الجمل.

و- وصل مجموع جمل بمجموع جمل أخرى، بحيث يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها، ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان.

ز- العطف على جمل الحال.

ح- جمل الشرط المعطوفة على جمل الجزاء.

ط- العطف على جواب الشرط بالواو.

أما الزمخشري، فقد رسم منهجا في معالم الفصل والوصل وجمالياته، والتزم فيه منهجية أساسها تعريفه للوصل والفصل وأدواته وأغراضه، وتقسيمه للوصل إلى لفظي ومعنوي.[11]

وجاءت بعد ذلك مرحلة السكاكي في المفتاح والخطيب القزويني الذي لم يخرج عما جاء به السكاكي، ولم يأت بجديد، وتشعب المصطلح والخلافات الجانبية لديه.

ثانيا: الفصل والوصل عند الغربيين أساسه العلاقات التي تقوم بين الجمل داخل النص نفسه، حيث تناولوا الفصل والوصل اللذين اتفق عليهما جمهور الدارسين. ويشير مفهوم الربط أو الوصل لديهم إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات.[12]

وأشار هاليدي ورقية إلى أن علاقة الوصل تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق على نحوٍ منظم. وقسما الوصل أنواعاً، وهي: الوصل الإضافي، والوصل العكسي، والوصل السببي والزمني. [13]

وأما الفصل فقد تناوله الغربيون في إطار العلاقة القائمة بين الجمل، من غير النظر إلى أدوات لفظية تربط بينها.[14] وقد يكون الربط بين صورتين أو أكثر بالجمع بينها، أوبالاستدراك، أو بالتدرج.

ثانيا: الحذف: أما الحذف في التراث العربي الإسلامي القديم، فقد تناوله اللّغويون في مباحث علم المعاني، كسياقات الكلام التي يرد فيها حذف أحد أطراف الإسناد.

والحذف عند اللغويين ينطلق من قاعدة تسمى (أصل الوضع)، وهي تفترض أن التركيب لا بد أن يشتمل في أبسط صوره على طرفين يقال لهما: المسند والمسند إليه، ثم ما يلحق بهما مما يكمل به معنى الكلام، ويطلق عليه الفضلة أو القيد، فإذا ما اقتضى المقام وطبيعة الكلام الاستغناء عن شيء منها، ساعدهم اعتبار ذلك الأصل على معرفة المستغنى عنه وتقديره، وبيان مواضعه.[15] وقد اصطلحت البلاغة العربية على الحذف بمصطلحات عدة، منها: الإيجاز والإشارة والاختصار، وقسمته إيجاز حذف، وإيجاز قصر.[16]

الحذف لدى الغربيين: تناول هاليدي ورقية مفهوم الحذف، وهو علاقة داخل النص، وهذه العلاقة في النص قبلية.[17] أما (بوجراند) فقد أطلق على الحذف اسم (الاكتفاء بالمبنى العدمي)؛ أي أن البنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبا، بعكس ما يبدو في تقدير الناظر. [18] فالحذف مرتبط بالنص لا بالجملة حيث تكون العلاقة داخل الجملة الواحدة علاقة بنيوية، لا يؤدي الحذف فيها إلى تماسك من نوع ما، ومن ثم يكون الحذف واقعا بين جملتين، حيث نجد في الجملة الثانية فراغا بنيويا يبحث المتلقي عنه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق.

ثالثا: الإحالة: تطرق التراث العربي الإسلامي القديم إلى الإحالة، عند تناول العائد الضميري؛ لأن للضمير وظائف كثيرة حسب موقعه في الجملة، وهو رابط من الروابط بين عناصر النّص الملفوظ، يقتضيه الإيجاز في العبارة، واجتناب تكرار ما سبق ذكره تخفيفا على المتلقي. ويسهم الضمير بقسط معتبر في أداء المعاني، وعليه يتوقف في كثير من الأحيان وضوح الكلام وغموضه، وكثيرا ما يخرج التركيب من تعدد التأول إلى أحديته بمجرد التصريح بالاسم، الذي ناب عنه الضمير في موضع من مواضع ذلك التركيب. والضمير في النحو العربي يعود على اسم متقدم عليه قريب منه، وقد يتصل باسم تتأخر عنه قرائن معنوية. وللضمير صور مختلفة في الجملة؛ إذ قد يكون متصلا ومنفصلا.[19]

تناول بعض المعاصرين الغربيين مصطلح الإحالة، واستعملوه بمفهوم أساسه أن العناصر المحيلة مهما كان نوعها لا تكتفي بنفسها من حيث التأويل؛ إذ لا بد لها من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها.[20]

وفي سياق هذا المفهوم تحدث (جون ليون) عن مفهوم الإحالة، ورأى أنها العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات؛ لأن الأسماء تحيل إلى المسميات، وهي علاقة دلالية تخضع لقيد أساسي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه.[21] والإحالة علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية، لكنها تعود على عنصر أو عناصر أخرى ذكرت سابقا في الخطاب نفسه، وهي تخضع لذلك لوجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه. وتنقسم الإحالة لدى هاليدي ورقية قسمين: إحالة داخل النص (النصية)، وإحالة خارج النص (مقامية أو قولية).

رابعا: الاستبدال

يدور الاستبدال في التراث العربي القديم، حول علاقة الكلمات في الجملة على المستوى النحوي المعجمي، حيث يتشابه بمفهوم المترادف، وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد.[22] وتتم عملية الاستبدال داخل الجملة من خلال العلاقة القائمة بين الكلمات أو المفردات، من حيث إن بعض الكلمات ترتبط بما قبلها دلاليا ومعجميا، ونحويا، ضمن الظاهرة التي تقوم على تعدد اللفظ للمعنى الواحد مما يحدده السياق أو المقام. ويكون الترادف جزئيا بحيث نجد من السياق ما يدل على هذا المعنى.

الاستبدال لدى الغربيين صورة من صور التماسك النصي، ويكون على المستوى النحوي المعجمي بين كلمات وعبارات، أو هو تعويض عنصر بعنصر آخر داخل النص. وقد يكون الاستبدال ارتباطا بين مكونين من مكونات النص، يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول، وقد يشمل مجالا غير مجال الضمائر والأدوات، كالعلاقات المفهومية، مثل: فكرة العموم والخصوص بين الأقسام الفرعية، والأقسام العليا، والكلية والجزئية والسببية والقرب. [23]

خامسا: الاتساق المعجمي

أضاف هاليدي ورقية مظهرا من مظاهر اتساق النص، لا يمكن الحديث فيه عن العنصر المفترض، والعنصر المفترض، ولا عن وسيلة نحوية للربط بين عناصر في النص، ويرى الباحثان أن الاتساق المعجمي ينقسم قسمين: التكرار أو التكرير Reiteration أو Recurrence، ثانيا: والتّضام Collocation والتكرار شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو وجود مرادف له، أو شبه مرادف.[24]

أما ظاهرة التكرار في التراث العربي القديم، فقد تناولها العلماء في موضوع الإطناب الذي يعد ظاهرة تركيبية تقابل الحذف والإيجاز.[25] ومن أبرز مظاهر الإطناب: التكرار والزيادة اللفظية التي يمكن للتركيب الاستغناء عنه.

وأما مفهوم التضام لدى الغربيين فهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة؛ نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة

أو تلك. وقد تناول هاليدي ورقية ذلك في المثال الآتي: (ما لهذا الولد يتلوى في كل حين وفي كل وقت؟ البنات لا تتلوى). فالولد والبنات هنا ليسا مترادفين، لكن ورودهما في الخطاب يسهم في الترابط أو النصية بين الجمل، وترتبط فكرة التنافر بالتضام؛ لأن فكرة النفي ترتبط به.[26]

وقد تناول علماء العربية قديما موضوع التضام وعبروا عنه بمصطلح المطابقة في علم البديع، وتسمى الطباق والتضاد، وأما علماء البلاغة فقد تناولوا في هذا الإطار مفهوم الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق، مثل: السببية واللزوم، والجمع بين معنيين غير متقابلين، غير أنهما بلفظين يتقابل معنياهما الحقيقيان، ويطلق على هذا النوع من الطباق اسم: إيهام التضاد، ويدخل بهذا النوع الطباق بالتفسير، أما الطباق فإنه جمع المتقابلين فقط، لذلك قسم البلاغيون العرب المقابلة إلى أقساماً، منها: مقابلة الاثنين بالاثنين والثلاثة بالثلاثة.[27]

الانسجام وعناصره

المقام: تدور دراسة (المقام) في التراث العربي القديم حول مقولة: (لكل مقام مقال)، و(مطابقة الكلام لمقتضى الحال)،[28]وقد كانت فكرة المقام لدى البلاغيين مرتبطة بالبعد الزماني والبعد المكاني للكلام، حيث يقوم المتكلم بصياغة كلامه على وجه معين، فإما يتصل كلامه بمحل هذه الصياغة فيسمى المقام، وإما أن يتصل بزمن هذه الصياغة فيسمى (الحال)، فكل كلام لا بد له من بعد زماني ومكاني يقع فيه، لذلك ارتبطت فكرة الحال والمقام بالمقال.[29]

وتمتد فكرة المقام إلى علاقة المجاورة التي تكون بين كلمتين متتابعتين، فقد قال العرب: لكل كلمة مع صاحبتها مقام،[30]حيث تعد اللغة عند البلاغيين نظاما له علاقة بالأنسقة الخاصة، وتخضع لاعتبارات تتحكم في علاقاتها، وهو ما يمكن أن يتشابه مع ما ذكره (دي سوسير) عند حديثه عن العلاقات السياقية الإيحائية،[31] ولذلك فإن إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي) وعلى المستوى المعجمي لا يعطي إلا (معنى المقال) أو معنى ظاهر النص، ويحتاج إلى القرائن التي تساعد على تحديد المعنى. وقد يستعار (المقال) المشهور (للمقام الطارئ)، فيما يعرف بالاستشهاد أو الاقتباس في أثناء الحديث، كما فعل الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، عندما استشهد بالآية القرآنية التي تؤكد أن النّبي (صلّى الله عليه وسلّم) سيموت،[32] وأما انفراد العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها بالوجود، فإنه يجعل ذلك بحاجة إلى معنى المقام، أو المعنى الاجتماعي الذي هو شرط لاكتمال المعنى الدلالي الأكبر. والعنصر الاجتماعي ضروري لفهم المعنى الدلالي، فالذي يتكلم إلى نفسه، أو الذي يدعو في الصلاة، أو الذي يبدي رد فعل عند رؤيته لشخص لا يلتزم قواعد المرور مثلا، فهؤلاء لا تسمى مواقفهم (مواقف) وليس فيها عناصر المقام الاجتماعي؛ لأن المقام الاجتماعي نمط سلوكي معين داخل في نسيج ثقافة اجتماعية ما، يتلقاها الفرد عن مجتمعه، ويصبح سلوكه مشروطا بطرقها مفرغا في قوالبها التي حددها المجتمع.[33]

والمقام قاسم مشترك بين البلاغيين والنحاة، فهو على المستوى البلاغي ركن أساسي في الصحة الخارجية للنص يسهم في الانتقال من الفصاحة إلى البلاغة المتمثلة في وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وقد يكون النص فصيحا يعد صحيحا صحة داخلية من حيث: التركيب والصرف والنحو والأصوات، ولكنه لا يكون بليغا إلا إذا وافق مقتضى الحال، وما يحيط به من عناصر اجتماعية وثقافية.

أما النحاة فقد راعوا المقام بصورة أو بأخرى، وإن لم ينصوا على ذلك نصا إلا في حالات محدودة، واعتمدوا عليه في كثير من الحالات عند التقعيد للنحو، ووضع الضوابط العامة لمادتهم، ويشترك البلاغيون والنحاة في الاهتمام بما قد يقع في المقام، من إشارات أو حركات أو نظرات تصاحب الخطاب الكلامي لقيمتها التعبيرية.

المقام عند الغربيين: يرتبط بالعوامل التي تجعل النص منسجما، وقد تناول فيرث هذا المفهوم، حين تجلّى له المعنى السيمانتيكي (الاجتماعي) عند استعمال الوحدات اللغوية، للتفاهم والخطاب الاجتماعي في إطار المقام، أو ما أسماه Context of situation، وحدد له عناصر، وهي: المشاركون في الخطاب، والمواد الموجودة في المقام؛ وأثر الحديث الكلامي. وأطلق (بوجراند) على هذا المصطلح اسم رعاية الموقف.[34]

ثانيا: المجــاز

تناول القدماء وغيرهم فكرة المجاز في دراستهم للعلاقة بين الحقيقة والمجاز، فالحقيقة هي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي، والمجاز هو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة اتساعا.[35] ومن قضايا المجاز: المجاز المرسل؛ والمجاز الحكمي أو العقلي، والاستعارة.

تناول الغربيون المجاز من خلال حديثهم عن مفهوم الابتكار في الأسلوب؛ إذ ذكر أن أرسطو كان يرى الكاتب أو الشاعر إنما يلجأ إلى المجاز ليدل على أفكار جديدة، وأن

المجاز يكسب الكلام وضوحا وسموا وجاذبية لا يكسبه إياها شيء آخر. فوجوه البلاغة المختلفة هي من وسائل الإيحاء بالحقيقة عن طريق الخيال، حيث يكثر المجاز في الكلام حين يوجه إلى الجماهير، ويقتصد فيها حين يوجه إلى الصفوة، وكذلك حين يكون المرء بصدد تلقين حقائق خالصة.[36]

وذكر (لاكوف وجونسون) أن الاستعارة والمجاز يقعان في إطار التعميم عبر الحقول، مثلا الفعل (صار) يستعمل بمعنى المعاينة، كما في قولنا: صار العيش مملا، وفي معنى الملكية في قولنا: صار إليه كل المال، حيث يتم تطعيم بنية حقل دلالي بحقل دلالي آخر.[37] وأشار (أولمان) إلى النقل المجازي، حين يعمد المتكلم إلى علاقة المشابهة بين المداولين ليحقق نقلا مجازيا، وضرب مثالا بعبارة (عنق الزجاجة) حين تستعمل في بعض المواقف المعينة، وتفهم هذه العبارة في الحال لكل من يعرف أن (المنفذ الضيق للمرور) كثيرا ما يسمى بهذا الاسم. وأطلق العالم الفرنسي (بيير غيرو) على هذا النقل المجازي مصطلح (التسمية الإدراكية).[38]

ثالثا: الكناية

عرف القدماء الكناية أنها الانتقال من اللازم إلى الملزوم،[39] أو الانتقال فيها من الملزوم إلى اللازم،[40] أو ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينقل من المذكور إلى المتروك.[41]

رابعا: التشبيه

تناوله القدماء العرب، وعرفوه بأنه:[42] الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى. وهو يختلف بدوره عن المجاز والكناية؛ إذ يقتصر على تشبيه شيء بشيء ليدل على حصول صفة المشبه به في المشبه.

خامسا: القرائن

تناول الغربيون[43] المعنى المعجمي والمعنى الدلالي أو الاجتماعي، والمعنى الوظيفي، والخصائص الفنولوجية (الصوتية) التي تتجاوز الصوت الواحد، وهذه العناصر لها دور في توضيح معنى النص، من خلال المعاني المعجمية والدلالية والوظيفية (الصوتية النحوية)، التي تساعد المتلقي على فهم النص من خلال هذه العلاقة القائمة بين الكلمات أو الجمل. أما القرائن في الأدبيات العربية فقد تناولها تمام حسان تناولا شاملا، واعتمد على ما ذكره القدماء، ووضع طريقة رائدة في بيان القرائن وأثرها في فهم الجمل داخل النص. ووضع حسان النظرية السياقية للمعنى، ورأى أنه ينقسم فروعاً كبرى ثلاثة، هي:[44] المعنى الوظيفي، ويشمل النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، والمعنى المعجمي، والمعنى الدلالي أو الاجتماعي.

القرائن المعنوية

أطلق حسان على هذه القرائن قرائن التعليق، وشمل بها أربع قرائن معنوية كبرى، تشتمل كلّ منها على قرائن فرعية، وهذه القرائن الأربع، كما يأتي:[45]

قرينة الإسناد: وأدرج ضمنها قرينة الإسناد الحاصلة بين طرفي الجملة الاسمية والفعلية والوصفية، وقرينة التخصيص: وقد تضمنت لديه المفاعيل (المفعول به، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والمفعول فيه، والمفعول المطلق)، (والحال، والتمييز، والاستثناء، والاختصاص)، وقرينة النسبة: وتضمنت لديه المجرورات، وهي قرينة كبرى كالتخصيص، ومعها معنى الإضافة،[46] وقرينة التبعية: وتشمل بها أربع قرائن، هي: النعت، والعطف، والتوكيد، والبدل.[47]

القرائن اللفظيّة

العلامة الإعرابية: وهي قرينة يستعصي التمييز بين الأبواب بوساطتها حين يكون الإعراب تقديريا أو محليا أو بالحذف لأنها ليست ظاهرة فيستفاد منها معنى الباب.[48]

الرتبة: وهي قرينة لفظية، وهي نوعان، أولا: المحفوظة، وهي قرينة لفظية تحدد معنى الأبواب المرتبة بحسبها، ومنها: أن يتقدم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، و... إلخ، وتقدم حرف الجر على المجرور، وحرف العطف على المعطوف؛[49] ثانيا: الرتب غير المحفوظة، ومنها: المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول به، ورتبة الضمير والمرجع، ورتبة الفاعل والتمييز بعد نعم، ورتبة الحال والفعل المنصرف، ورتبة المفعول به والفعل.

مبنى الصيغة: وهي الصيغ الصرفية الّتي تميز بين الأسماء والأفعال والّصفات والحروف. والمطابقة: وتكون (بالإعراب، وبالشخص، وبالعدد، وبالنوع). والتعيين: بالتعريف والتنكير. والربط: ويكون بالضمير العائد الّذي تبدو فيه المطابقة، ومنه بالحرف أو بإعادة اللفظ، أو إعادة المعنى، أو باسم الإشارة، أو أل، أو دخول أحد المترابطين في عموم الآخر. والتّضام: ويقصد به التلازم الحاصل بين عنصرين نحويين، ويرى حسان أن التضام مبرر قبول التقدير سواء عند الاستتار أم عند الحذف.

والأداة: ويشمل بها الأدوات الداخلة على الجمل، كالنواسخ، وأدوات النفي والاستفهام،...، والأدوات الداخلة على المفردات كحروف الجر والعطف والاستثناء والتنفيس والتحقيق والنواصب والجوازم.[50]

والنغمة: وهي الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في

السياق. وقد خاص حسان إلى أن الاعتماد على تضافر القرائن المعنوية فاللفظية - من وجهة نظره - تغني عن فكرة العامل الّذي بنى عليها القدماء نظرهم لتفسير الحركات الإعرابية، ورأى أن العامل النحوي لا يوضح إلا قرينة واحدة لفظية هي قرينة الإعراب، وأن المعنى النّحوي لا يتّضح بقرينة لفظية واحدة، وهي العلامات الإعرابية، ينجلي بتضافر القرائن اللفظية والمعنوية، الّتي تغني عن القرينة الإعرابية الظّاهرة، لذلك تترخص العرب في العلامات الإعرابية عند أمنها اللّبس.(51)

سادسا: السّياق: أما مفهومه في التراث العربي القديم، فقد كان يطلق لدى المفسرين على الكلام الذي خرج مخرجا واحدا، واشتمل على غرض واحد، هو المقصود الأصلي للمتكلم الذي انتظمت أجزاؤه في نسق واحد، والسياق قد يضاف إلى الآية أو السورة أو القرآن الكريم كلّه، من جهة أغراضه ومقاصده، ومن جهة نظمه المعجز.(52)

وثمة ألفاظ مرادفة للفظ، مثل: المقام والمقتضى، ومقتضى الحال، ولفظ التأليف، ولفظ النّظم القرآني، وهذه تؤدي إلى معنى السياق؛ أي المقصود بالسياق هو غير معنى المفردات اللغوية، وغير معاني التّركيب اللغوية، بل قد يكون في السياق من القرائن ما يصرف معنى الكلمة في الآية من أصل وضعها إلى معنى آخر.(53) أما السياق في مجال النص القرآني فقد تناوله القدماء عند تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية، وذكروا أن للسياق اللغوي سياقا اجتماعيا، قبل أن يكون سياقا نصيا، منها تفسير الزمخشري، للآية (102) من سورة طه، وسورة النمل للآية (14).(54) أما الحجج السياقية فهي: الحجة الخارجة عن التركيب المتصلة بأسباب النزول، والحجج السياقية القائمة حول التركيب نفسه.(55) أما لدى النحويين فقد ارتبط بتأويل النص وفهمه من خلال السياق المحيط بالجملة. (56)

عند الغربيين: تناول براون ويول تحليل الخطاب،(57)حيث ذهبا إلى أن محلل الخطاب يجب أن يراعي السياق الذي يظهر فيه الخطاب؛ لأنّه مهمة فعالة في عملية تأويل الخطاب، وتناولا خصائص السياق لدى (هايمس)، وهي: المرسل، والمتلقي، والحضور، والموضوع، والمقام والقناة، والنظام (اللغة المستعملة)، والمفتاح، والعرض. وهذه الخصائص ليست كلّها ضرورية في جميع الأحداث، كما ذكرا.(58)

وقد ذكر (يول وبراون) عمليات انسجام النص، في مواجهة خطاب ما لدى المتلقي، وهي: (59) المعرفة الخلفية، والأطر، والمدونات، والسيناريوهات، والخطاطة.

تطبيق المنهجية المقترحة على أحاديث الرقاق

تم تصنيف أحاديث الرقاق التي ترقق قلب المؤمن إلى أحاديث تتعلق بعلاقة المسلم مع الله تعالى، ومع نفسه ومع الناس، لغرض تيسير التحليل لها، ولبيان عناصر الاتساق والانسجام داخل النّص. وسوف نتناول هنا بعض الأحاديث التي يمكن أن يظهر فيها عناصر المنهجية المقترحة، حيث نجد بعض الأحاديث تظهر فيها بعض عناصر الاتساق والانسجام، أو لا تظهر إلا القليل منها.

الأحاديث المتعلقة بعلاقة المسلم مع الله تعالى.

الحديث الأول: عن عبادة بن الصامت عن النّبي (صلّى الله عليه وسلّم) قال: ((من أَحبَ لِقَاءَ الله أَحبَ الله لِقَاءه، ومن كَرِه لِقَاءَ الله كَرِه الله لِقَاءه، قالت عائِشَةُ - أو بعض أَزواجِهِ - إنّا لَنَكره الموت، قالَ: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر بِرضوان الله، فليس شيء أحب إليه مما أَمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حضِر بشّر بعذابِ الله وعقُوبتِهِ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فَكَره لقاء الله، وكره الله لقاءه)). (60)

المعنى العام

يظهر لنا من الجمل التي تكون نص هذا الحديث، أن المعنى الظاهر هو: (إن الّذي يحب لقاء الله تعالى، يحب الله لقاءه، وإن الّذي يكره لقاء الله تعالى يكره الله لقاءه يوم القيامة. ويتبع هاتين الجملتين (من أحب...، ومن كره...) قول إحدى زوجات النّبي (رضي الله عنهن: "إنا نكره الموت"، ورد الرسول (صلى الله عليه وسلم): بأن ليس المقصود بحب لقاء الله تعالى أوكره لقائه جلّ وعلا، أن يحب أحدنا الموت ليلقاه سبحانه يوم القيامة، وإنّما المقصود - كما ورد في جوابه (صلى الله عليه وسلم): أن المؤمن يبشر بالجنة عند النّزاع، فيحب - آنئذٍ - لقاء الله تعالى، وأما الكافر عندما يبشر بالعذاب من الله تعالى فإنّه يكره لقاء الله خوفا من العذاب، وسوف يفهم كلّ مستمع أو متلقٍ للنّص من المعاصرين أو من القدماء مقصود النّبي (صلى الله عليه وسلم) وفق المعرفة الخلفية التي يحملها حول مصير المؤمن ومصير الكافر، ولا سيما أن المتلقي مهما اختلفت ثقافته الدينية أو قدراته العلمية، لن يخرج عن هذا المعنى العام الذي ذكرناه؛ وذلك لأن ظاهر الحديث ليس فيه ألفاظ يصعب فهمها على النّاطق بالعربية.(61)

مظاهر الاتّساق

الوصل: هناك وصل في الجمل (...ومن كره لقاء...)

حيث وردت أداة الوصل (الواو) التي تصل بين الجملة السابقة (من أحب...) والجملة بعد الواو، وهذا يثبت العلاقة بين صور المعلومات في الجملتين: (من أحب لقاء ا ...، ومن كره لقاء ا ...). وتلك هي موقف الإنسان عند النّزاع الأخير، ومدى إيمانه بلقاء ا أو خوفه من العذاب الشّديد منه سبحانه وتعالى. في إجابة النّبي (صلى ا عليه وسلم): "ليس ذاك، ولكن... إلخ"، ورد الوصل بين الجمل بالواو التي تصل صورة المعلومة (حب لقاء ا أو كره لقائه)، بالمعلومة التي تبين حالة المؤمن إذا بشّر بلقاء ا تعالى، وحالة الكافر إذا بشّر بعذاب ا تعالى. وقد شرح الرسول (صلى ا عليه وسلم) المقصود من هذه المعلومة بقوله: (ولكن المؤمن،...،.... وإن الكافر... إلخ) وأبرز العلاقة الوثيقة بين صور المعلومات عند لقاء المؤمن للملائكة الكرام ـ وقت احتضاره ـ فيبشر بالجنة، ولقاء الكافر لملائكة العذاب فيبشر بسوء العذاب، فينفر الكافر ـ حينئذٍ ـ من لقاء ا تعالى. وأما الوصل بين الجمل بالفاء من قوله (ص): (ولكن...، فليس... فأحب... إلخ. وإن الكافر...، فليس... فكره... إلخ)، فيفيد التّرتيب من غير تراخ، فالمؤمن عندما تحضره الملائكة يبشر برضوان ا تعالى، فيحب لقاء ا تعالى، والكافر عندما تحضره ملائكة العذاب تبشره بعذاب من ا وسخط، فيكره لقاء ا .

الحذف: إن رد النّبي (صلّى ا عليه وسلّم) للسيدة عائشة (أم المؤمنين) عندما فهمت مقصوده (صلى ا عليه وسلم) من قوله: (من أحب...، ومن كره...)، بأنّه كره الموت، كان بإشارته إلى ذلك القول، بقوله: "ليس ذاك"؛ أي ليس ذاك بقولي(من أحب...، ومن كره...)، وقولك: (إنّا لنكره الموت). فالمحذوف هنا يشير إلى قول سابق، عبر عنه النّبي بقوله: (ليس ذاك).

التّضام: ورد في النص زوج من الكلمات في النص، مثل: أحب، وكره، ويساعد هذا التّلازم[62] بين الحب والكره على الربط النّصي بين الجمل. وتلازم الكلمتين في النص، وورودهما في الخطاب يسهم في الترابط بين الجمل. وتمثّل علاقة التّضام هذه علاقة معجمية بنيوية تربط بين مفردتين تتلازمان في الاستعمال.

مظاهر الانسجام

المقام: ورد في بيان الرسول (صلّى ا عليه وسلم) لما قاله: "من أحب لقاء ا ...، ومن كره لقاء ا ..."، وقصد بهذا القول أن حب لقاء ا تعالى أو كرهه يفهم من المقام الّذي قيل فيه؛ إذ قصد به ما يبشّر به المؤمن من النّعيم عند سؤال الملكين له في القبر فيحب لقاء ا ، أو يبشّر بالعذاب فيكره لقاء ا ؛ ويفهم من المقام أن حب لقاء ا تعالى أو كرهه لا يكون إلا بعد الموت.

القرائن المعنوية: وهي تتمثّل في قرينة التّخصيص[63] في: ألفاظ المفعول به (لقاءَ) و(لقاء) و(الموتَ)؛ لأنها قيد على علاقة الإسناد، ومنها قرينة النّسبة، حيث الجار الباء في قول: (برضوان) تدل على الإلصاق، وإلى في (إليه) تدل على انتهاء الغاية، والباء في (بعذاب) على الإلصاق، مما تساعد على انسجام النص لدى المتلقي.

السّياق: يتمثّل السياق في الموقف الّذي يقفه كلّ إنسان حين تأتيه ساعة الاحتضار، لكي يعد نفسه لهذا اليوم. فالخطاب ينظر إليه المتلقي من خلال المعهود اللغوي الذي لديه حول النص؛ حيث ذكر فيه أن الذي يحب لقاء ا فسوف يحب ا لقاءه، ومن يكره لقاء ا سيكره ا لقاءه، وأن الملائكة ستبشر المؤمن برضوان ا تعالى وكرامته، وأن الكافر سيبشر بالعذاب، ولذلك سوف يفهم المتلقي هذا النص بناء على المعهود اللغوي المتمثل في هذه الجمل الإخبارية. ويوجه هذا الخطاب موعظة مباشرة إلى المتلقي (وهو المسلم)، بحيث يستشعر هذا الموقف من خلال المخزون من المعلومات لديه حول نعيم أهل الجنة، ومصير أهل النّار، ولاسيما أن لديه معلومات جاهزة حول مفهوم (قبض الروح)، وما تحمله من دلالات تشير إلى الملائكة سواء ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب، وما يصدر منهم من تبشير للمؤمن برحمة من ا ورضوان، أو تبشير للكافر بعذاب من ا وسخط. فالمتلقي لديه تصور واضح لما سيصير إليه المؤمن أو الكافر المحتضران عند السؤال من الملكين (عليهما السلام)، في ضوء الإرشادات الوعظية التي يسمعها من الدعاة، وما يرددونه من أحاديث تصف القبر وأحواله، وما يحدث للإنسان عند النّزع الأخير.[64]

وتساعد مظاهر الانسجام الواردة في النص على فهم مقصود النّبي (صلى ا عليه وسلم)، وعدم تأويله بما لا يحتمل، وعدم الخروج به عن حدود كلمة (لقاء ا)، ولا يكون حب اللقاء إلا عند الاحتضار، أو في القبر.

الحديث الثاني: عن أبي هريرة (رضي ا عنه) أن رسول ا (صلّى ا عليه وسلم) قال: ((يعرقُ الناس يوم القِيامةِ حتى يذهب عرقُهم فِي الأرضِ سبعِين ذِراعا، ويلجِمهم حتَى يبلُغَ آذَانَهم)).[65]

المعنى العام

يبين الرسول (صلى ا عليه وسلم) حال الناس يوم

القيامة، حيث يصل العرق من شدة الموقف إلى آذانهم، ويجري العرق سائحا على وجه الأرض كالماء في الوادي، بعد أن شربت منه الأرض وغاص فيها لمسافة سبعين ذراعا.

مظاهر الاتّساق

الوصل: ورد في عطف الجملة (ويلجمهم...) على الجملة السابقة (يعرق الناس...،)؛ وقد بدأ النّبي (صلى ا عليه وسلم) الكلام بذكر حال الناس يوم الحشر، وعرق الناس من شدة الهول بقدر أعمالهم في الدنيا، ووصول العرق إلى آذانهم.

الإحالة: ثمة إحالة داخل النص تتمثل في قوله: "عرقهم، ويلجمهم" ويشير الضمير المتصل في كلمة (عرقهم) إلى الناس الذين يعرقون يوم القيامة من هول الحشر، ويشير الضمير المتصل في كلمة (يلجمهم) إلى الناس الذين يعرقون يوم القيامة، ووصل عرقهم هذا إلى آذانهم بسبب أعمالهم في الدنيا.

الاتّساق المعجمي

التّكرار: ورد في تكرار لفظ (يعرق) و(عرقهم)، وهذا للدلالة على أن العرق يصيب الناس يوم الحشر لشدة الموقف.

مظاهر الانسجام

المجاز: أراد النّبي (صلّى ا عليه وسلم) أن يقرب أحوال يوم الحشر، وشدته وهوله إلى عقول الناس، فلجأ إلى المجاز المرسل، حيث إن العرق إذا صار كالماء، والناس مختلفون في الطول والقصر على أرض معتدلة، فكيف يكون الكل إلى الأذن؟ فدلالة كلمة عرق تدل على الشدة والهول الذي يصيب الناس، مما يجعلهم يعرقون عرقا شديدا، والذي يعرق بهذا القدر هو الذي كانت أعماله في الحياة الدنيا طالحة، وهو دلالة كمية العرق على الأعمال الصالحة في الدنيا.[66] وقد يقصد بهذا المعنى المعنى الحقيقي كما ذكر العسقلاني، ولهذا علاقة بعلم الغيب والإيمان به، ويمكننا تفسير ذلك على أنه من الخوارق يوم القيامة، وما ذلك على ا بعزيز.[67]

المقام: ورد النص في مقام وصف أهوال الحشر، ومن الطّبيعي أن يكون المسلم المؤمن بالغيب متأثرا بهذا المعنى، ولا سيما أن النّاس متفاوتون في أعمالهم في الحياة الدنيا، وأن الموقف يتطلب من المؤمن الإيمان بالغيب، وأراد الرسول (صلّى ا عليه وسلم) تنبيه السامع، في أي مكان وزمان، بهذه الأحوال المهولة، فيأخذ المسلم في الأسباب التي تخلصه منها، ويبادر إلى التّوبة الصادقة إلى ا تعالى، وهذا بدوره يرقّق قلب المؤمن، ويدفعه إلى الخوف من ا في السراء والضراء، وهذا ما قصده الرسول (صلى ا عليه وسلم).

القرائن المعنوية: وردت قرينة النّسبة في العلاقة القائمة بين المسند والمسند إليه، في قوله (صلى ا عليه وسلم): "يعرق الناس..."، يذهب عرقهم، ويلجمهم..."، وهذه العلاقة تتعاضد مع علاقة التّخصيص في ظرف الزمان (يوم)، وحرف الجر (في) الداخل على (الأرض) المفيدة للظرفية المكانية، وعلاقة الإضافة، كما في قوله: (يوم القيامة)، (عرقهم)، والتّمييز، كما في قوله: (ذراعا)، وتقوم هذه القرائن بإيضاح المعنى بسهولة لدى المتلقي.

السّياق: يتطلب سياق الموقف من المسلم المؤمن با تعالى والغيب أن يؤمن بأن أحوال الدنيا سوف تتبدل يوم الحشر، وتختلف طبائع الأشياء، حتى إن الناس سيعرقون عرقا شديدا من هول المحشر، وأن الرسول (صلّى ا عليه وسلّم) بهذا البيان لمقدار العرق وبلوغه إلى أفواه أهل المحشر، يذكّره بوجوب العمل على تجنب هذا الموقف، والعمل على أن يكون من أهل الإيمان الذين سوف يظلهم ا بظله يوم لا ظلّ إلا ظله، وهذا الفهم للنص كان بسبب المعهود اللغوي الذي يحمله المتلقي لصيغة النص التي تؤكّد عرق الناس يوم القيامة، حتى إن العرق سيصل إلى آذانهم، وسيكون العرق كالماء الذي في الوادي دلالة على شدة الموقف.

الحديث الثالث: عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ((قال النبي (صلى ا عليه وسلم): تَكُون الأَرض يوم القِيامةِ خُبزةً واحِدةً يتَكفؤُها الجبار بِيدِهِ كما يكفأُ أَحدكُم خُبزتَه فِي السفَرِ نُزلاً لأهل الجنةِ. فَأَتَى رجلٌ مِن اليهودِ فَقَالَ: بارك الرحمن علَيك يا أَبا القَاسِمِ، أَلا أُخبِرك بِنُزلِ أَهل الجنةِ يوم القِيامةِ؟ قَالَ: بلَى. قَالَ: تَكُون الأَرض خُبزةً واحِدةً كما قَالَ النبي (صلى ا عليه وسلّم) فَنَظَر النبي (صلّى ا عليه وسلم) إِلَينَا ثُم ضحِك حتى بدت نَواجِذُه، ثُم قَالَ: أَلا أُخبِرك بِإِدامِهِم ؟ قَالَ: إِدامهم بالام ونُون.قَالُوا: وما هذَا؟ قَالَ: ثَور ونُون، يأْكُلُ مِن زائِدةِ كَبِدِهِما سبعون أَلفاً)).[68]

المعنى العام

سوف يفهم المتلقي مقصود الحديث بأن ا - سبحانه وتعالى– سوف يجعل الأرض كالخبزة يقلبها بيده – سبحانه – كما يقلّب أحدنا العجينة في الحفرة، وهو في سفره، وستكون هذه الخبزة نزلا أو طعاما لأهل الجنة، وسيكون إدام

هذا الخبز الكبد. وهذا دليل على قدرة الله – سبحانه وتعالى – في طي الأرض، وإعادة خلقها.

مظاهرالاتساق

الإحالة: ترد في العلاقة القائمة بين الجمل داخل نص الحديث الشريف إحالة (مقالية)، تتمثل في الضمير المتصل في الفعل (يتكفؤها) العائد إلى الأرض، وهو ربط للجمل بعضها ببعض. ومن ذلك _ أيضا _ الضمير المتصل (هم) في قوله (صلى الله عليه وسلم): (بإدامهم) المشير) إلى أهل الجنة، مما يفيد وصل الجملة بما سبقها، أما الإحالة إلى مذكور في قوله (صلى الله عليه وسلم) فيمكن أن يظهر في قول الصحابة للنبي (صلى الله عليه وسلم): "وما هذا ؟ "حيث يؤكد المقام المحيط بالعبارة أن اسم الإشارة (هذا) يحيل إلى (بالام ونون) ولا يحيل إلى الإدام المعلوم لدى الصحابة (رضي الله عنهم)؛ لأنهم لا يعرفون ما البالام والنون، وهذا بدوره يمثل اتساقا للنص وربطا لاسم الإشارة بما سبقه من تركيب أو مفردة. وهذا يساعد المتلقي على فهم الحديث من خلال العلاقة بين عناصره.

الفصل: يلاحظ الفصل في قوله (صلى الله عليه وسلم): "ألا أخبرك بإدامهم؟"؛ إذ جاءت صيغة الخطاب لتؤكد عدم ارتباط هذه الجملة بما قبلها من الجمل التي تحدث فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) عن قبض الله – سبحانه – للأرض يوم القيامة. وانفصل المعنى في الجملة اللاحقة بسبب استخدام صيغة الاستفهام (ألا أخبرك بإدامهم؟). وهذه من مظاهر اتساق النص الداخلية.

الاتّساق المعجمي

التكرار: ومن ذلك تكرار لفظة (خبزة) داخل متتالياته، مما يؤكد العلاقة بين الجمل من خلال لفظة تربط المعنى بينهما، للدلالة على أن الأرض ستكون مثل الخبزة لينة وسهلة؛ وذلك لقدرة الله تعالى على جعلها بهذا الشكل.

مظاهر الانسجام

المقام: يفهم مقصود الرسول (صلى الله عليه وسلم) في هذا النّص بسبب المقام الذّي ورد فيه النّص من حيث: إن تقليب الله تعالى للأرض كالخبزة الّتي يقلبها أحدنا بيده، دلالة على تغيّر نظام الأشياء يوم القيامة، ومن ثَمّ ليس غريبا على الله تعالى أن يجعل الأرض كالخبزة لكون ذلك من قدرة الله على إعادة الشيء كما خلقه.

التّشبيه: يظهر لنا التّشبيه مقصود النبي (صلى الله عليه وسلم) في قوله: (تكون الأرض يوم القيامة خبزة).[69]

وشبه النبي (صلى الله عليه وسلم) طي الأرض أو جمعها أو تقليبها يوم القيامة كما يقلب أحدنا العجينة في الحفرة، وفي ذلك دلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى. ويساعد التّشبيه البليغ المتلقي على فهم النص في هذا الإطار، ولاسيما أن قضية أن صيرورة الأرض كالخبزة، تخالف ما ورد في الآثار من أنها ستكون نارا والله أعلم.

القرائن المعنوية: وردت في علاقة الإسناد بين المبتدأ والخبر في الجملة (تكون الأرض خبزة واحدة) حيث إن أصل الجملة التي دخل عليها الفعل كان: الأرض يوم القيامة خبزة واحدة. وهذا يعني إسناد الخبزة الواحدة إلى الأرض وتشبيهها بها. أما قرينة التخصيص ففي المفعول به للفعل (يكفأ، يأكل)، والتمييز، كما في: "سبعون ألفا". وقرينة النّسبة في تقدم الجار على المجرور، كما في قوله: "يأكل من زائدة..." و"بيده..." و"لأهل الجنة" و"في السفر"، وهذه الحروف لها معانٍ ودلالات تساعد على فهم الجمل، ومن هذه المعاني أن (في) تفيد الظّرفية، و(اللام) الاختصاص. وترد الإضافة في: "يوم القيامة، أحدكم، خبزته، أهل الجنة، إدامهم، زائدة كبدهما"، وتفيد التعريف والأسماء المضافة. والتبعية في المطابقة بين الفعل والفاعل كما في قوله: (تكون الأرض)، وفي قوله (يتكفؤها)، والتبعية في النعت كما في قوله: خبزة واحدة، والعلاقة بين الفعل والمفعول، كما في قوله: يكفأ أحدكم خبزته، فالفعل (يكفأ) متعد يحتاج إلى مفعول يبين على من يقع الفعل، وهو (الخبزة).

القرائن اللفظية: ورد في قرينة الرتبة كما في الجملة (إدامهم بالام ونون)،[70] وأراد النبي (صلى الله عليه وسلم) من تقديم كلمة (إدامهم)، تخصيص ما يهدف إليه من بيان إدام أهل الجنة من غير تحديد نوع الإدام. فنص الحديث يتطلب بيان أن نعيم أهل الجنة كبير وعظيم، وأن لهم طعاما وإداما، وهذا يرقق قلب المتلقي ويقربه إلى الله سبحانه.

السياق: وهو الذي يحيط بالنص ويتعلق بالخلفية التي يحملها المتلقي، ولاسيما المؤمن الذي يرغب في فهم الحديث النبوي والتأثر بتوجيهاته، فنجد أن الأطر العامة والخلفية الفكرية لدى المسلم (المتلقي) تهيؤه إلى أن يؤول هذا النص، وأن يفهم مقصوده، وذلك حين يعود إلى ذاكرته الخبروية في تجسيد نص الخطاب. ويربط ما ورد في الحديث الشريف بين قدرة الله سبحانه وتعالى في طوي أو قبض الأرض، وقدرته على أن يقلب الأرض ويجعلها كالعجينة التي يقلبها المسافر بيده، ولتكون هذه العجينة (الخبزة) نزلا (طعاما) لأهل الجنة أو للذين سيدخلونها. أما المعهود اللغوي الذي لدى المتلقي

فسوف يفهم الحديث وفق الصيغة التي بنيت فيه النص، من حيث تشبيه النبي (صلّى ا عليه وسلّم) للأرض مثل الخبزة، وأنها سوف تطوى، دلالة على قدرة ا تعالى، وتبدل نظام الكون كله، وبيان طعام أهل الجنة كنوع من أنواع الترقيق للقلوب، وعلم الرسول (صلّى ا عليه وسلّم) بما سيكون عليه الكون يوم القيامة، ومعرفة أحوال الجنة بوحي من ا تعالى.

الأحاديث المتعلقة بعلاقة المسلم مع المسلم.

الحديث الأول: ((حدثنا حذيفة، قال:حدثنا رسول ا (صلّى ا عليه وسلم) حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم عِلموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها، قال: ينَام الرجلُ النّومةَ فَتُقبض الأمانَةُ مِن قَلبِهِ، فَيظَل أثرها مِثلَ أثَر الوكتِ. ثم ينَام النومةَ فَتُقبض، فَيبقَى أثَرها مِثلَ المجل، كجمرٍ دحرجتَه على رجلك فَنَفِطَ، فَتَراه منتبِراً وليس فِيهِ شَيء، فيُصبح الناس يتَبايعون، فَلا يكاد أحدهم يؤَدي الأمانَةَ، فَيقَالُ: إن فِي بني فُلانٍ رجلاً أمِيناً. ويقَالُ للرجل ما أعقَلَه وما أظرفَه وما أجلَده، وما فِي قَلبِهِ مِثقَالُ حبةٍ مِن إِيمانٍ)).[71]

المعنى العام

يفيد الحديث أن الأمانة ترفع من قلوب الرجال وهم نائمون فيبقى شيء من أثرها كأثر الوكت (وهو الحرق الظّاهر الذي يغير لون الجلد) ثم ينام الإنسان مرة أخرى فيبقى من أثرها كأثر المجل (بسكون الجيم) وهو أثر الحرق الخفيف الّذي لا يغير لون الجلد، وهذه الأمانة يبقى أثرها مثل الجمر الذي يصيب رجل الإنسان فينفط (أي ينتفخ) الجلد منبترا (أي منتفخا) ليس فيه شيء. ثم يتبايع النّاس، فيقلّ من يؤدي الأمانة منهم، فيشار إلى الرجل الأمين بالبنان في العشيرة كذا، ثم يقال للرجل صاحب المكانة ما أعقله! وما أظرفه (ما ألطف أخلاقه) وما أجلده (أصبره)، وليس في قلب هذا الرجل مثقال حبة خردل من إيمان؛ لخواء قلبه، وعدم صدقه.[72]

مظاهر الاتّساق

الوصل: وتظهر بين قول الراوي: (أن الأمانة...، ثم...، ثم...السنة) حيث تدلّ أداة الربط (ثم) على الترتيب والتّراخي، وهي تساعد على ترابط الجمل واتّساقها، ومن أدوات الوصل التي برزت في النص (الفاء) و(الواو) ولهما دور فعال في الربط بين الجمل داخل النّص، كما يظهر ذلك في قوله (صلّى ا عليه وسلم): "ينام...، فتقبض...، فيظل....ثم...، فتقبض، فيبقى....،...، فنفط، فتراه...، وليس...، فيصبح...، فلا...، فيقال...، ويقال...، وما...".

الحذف: كان حذفا على مستوى المفردة، حيث قول النّبي (صلّى ا عليه وسلم): فتقبض، بصيغة المبني للمجهول ونائب الفاعل المحذوف هو: (الأمانة) وقد سبق التّلفظ بها.

الإحالة: تتمثل في عودة الضمير المستتر في الأفعال (فنفط، فتراه، ينام، فتقبض، يؤدي) وفي الضمائر المتّصلة، مثل (أثرها، فتراه، فيه، أحدهم، أعقله، أظرفه، أجلده، قلبه، يتبايعون). وكلّ هذه الضمائر تحيل إلى سابق، وهي إحالة داخل النّص لها دور في اتساق النص، وتقوم بربط أجزاء النص.

الاتساق المعجمي

التّكرار: حيث تكرر لفظ (ينام، فتقبض، فيقال)، وهو من صور الترابط التكرارية (وهو التكرار الكلي) مع وحدة المرجع، حيث يدلّ ذلك على الغفلة والنّفاق وحب الظّهور.

مظاهر الانسجام

المقام: أشار الرسول (صلى ا عليه وسلم) إلى أن الأمانة فطرة في قلوب الناس (رجالا ونساء)، والموقف الذي قيل فيه الحديث، يبين أن الناس سوف تغفل عن أداء الأمانة، وتتراكم في قلوبها بعض العادات السيئة، أو السلوكيات الخاطئة. وأن ترسيخ هذه الأمانة لا يتم إلا بالعلم بالقرآن الكريم، وبالسنة النّبوية الشّريفة والالتزام بهما، فكأن المقام هو دعوة إلى تثبيت الأمانة باتباع كتاب ا وسنة نبيه (صلى ا عليه وسلم). وبما أن الحديث عن الأمانة قد ظهر في موضوع الخطاب هو نزول الأمانة في قلوب الرجال مع كون وجود الأمانة في قلوب النّساء والرجال من الفطرة، فقد أشار النّبي (صلى ا عليه وسلم) إلى الأحوال التي ستحدث في المستقبل، إذا ضيعت الأمانة من قلوب الرجال، ففصل (صلى ا عليه وسلم) في هذه الأحوال، ووجه هذا الكلام إلى المخاطَب، في أي زمان وفي أي مكان. ومن هذا النص أثر الحديث على المستمع، والمتحدث (وهو الرسول (صلى ا عليه وسلم).

المجاز: فقد ظهر في الحديث، من قوله (صلى ا عليه وسلم): "ينام الرجل النّومة"، فالنومة هي دلالة على الغفلة عن أمر ا تعالى والتّعمد في نسيانه، فلذلك عندما يتعارض أمر ا تعالى مع هوى الإنسان (المسلم) ويقدم هذا المسلم هواه على أمر ا ، فإن الأمانة في قلبه تنقص حينئذٍ.

التّشبيه: شبه الرسول (صلى ا عليه وسلم) نقصان

الأمانة لدى المسلم بتشبيهين، أولهما قوله: "فيبيقى أثرها مثل أثر الوكت" بمعنى أنّه يظل من أثر الأمانة في قلب المسلم، كما يبقى الأثر من الحرق الظّاهر الّذي يغير لون الجلد، وهي دلالة على النقصان وعدم التّمام، فالذي يصيبه الحرق يحدث له نقص في موضع جرحه، كالمسلم الذي يغفل عن أمر ا فتنقص الأمانة في قلبه ثانيهما، قوله: "ثم ينام النّومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل المجل". وهو أثر الحرق الخفيف الذي لا يغير لون الجلد، ولكنّه ينفخ الجلد انتفاخا لا شيء فيه، وهو دلالة على فراغ المسلم من الأمانة في قلبه، وعدم وجود أثر لها، كما في الحرق الخفيف الذي يصيب الجلد، فينتفخ انتفاخا وهو فارغ في داخله، للدلالة على النّفاق الذي يصيب المؤمن لتكرار قبض الأمانة من قلبه.

القرائن المعنوية: يمكن تتبع قرينة التّخصيص في المفعول به للفعل (ينام)، (فتراه)، (يؤدي)، وقرينة النّسبة في معاني حروف الجر (الفاء، وفي، وعلى). فالفاء تدل على الظرفية حقيقة، في قوله: "في جذر"، و(على) تفيد الاستعلاء، في قوله: "على رجلك" و(من) تفيد الابتداء، في قوله: "من قلبه". وقرينة الإسناد في العلاقة بين طرفي الجملة الفعلية (ينام الرجل)، و(فتقبض الأمانة) و(يبقى أثرها). وهي تثبت النوم للرجل المسلم، وقبض الأمانة من قلوب الرجال، وبقاء الأثر. أما قرينة التّبعية فتأتي في العطف بين الجمل. كل هذه القرائن تساعد على انسجام النص.

السياق: يظهر من الظواهر السياقية التي في الحديث، وهي: الجمل التّعجبية التّأثرية (ما أعقله!، ما أظرفه!، ما أجلده!) الّتي تدلّ على تعجب الرسول (صلّى ا عليه وسلّم) من هؤلاء الصنف من النّاس في المجتمع الإسلامي. والتأويل المحلي من حيث إن القاريء ينظر إلى خصائص السياق وطبيعة الخطاب، وسلامة تأويله، وتجربته في مواجهة مثل هذا الخطاب فيفهم سياق الحديث المبين لأثر الغفلة عن أمر ا ، وسلوك أهل النّفاق وبروز نفاقهم كما يظهر للحرق وأثره على الجلد، سواء أكان الحرق ظاهرا أم خفيفا، ومن خلال المعهود اللغوي الذي يألفه حول صيغة الخطاب، حيث إن التّعجب يعني الحيرة في أمر ما، ولكن الخطاب أراد توجيه المتلقي إلى حقيقة ما سيحدث من النّفاق في السلوك الذي سيبديه المنافقون في المجتمع المسلم. وهذا بارز في صيغة النص، عندما ذكر الرسول (صلّى ا عليه وسلّم) صور هؤلاء الصنف من الناس اللّاهين عن طاعة ا تعالى.

الحديث الثاني: عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: مر رجل على رسول ا (صلى ا عليه وسلم) فقال لرجل عنده جالس: ((ما رَأيكَ فِي هذَا ؟ فقالَ: رجلٌ من أشراف الناس، هذا وا حري إن خَطَبَ أَن ينكح، وإن شَفَع أن يشَفّع. قال: فسكت رسول ا (صلى ا عليه وسلّم) ثم مر رجلٌ، فقال له رسول ا (صلى ا عليه وسلم): ما رأيك فِي هذَا ؟ فقالَ: يارسولَ ا ، هذَا رجلٌ مِن فُقَرَاءِ المسلِمِين، هذَا حرِي إن خَطَبَ أَن لا ينكح، وإن شَفَع أَن لا يشَفّع، وإن قَالَ أَن لا يسمع لِقَولِهِ. فَقَالَ رسولُ ا ـ (صلّى ا عليه وسلم): هذَا خَير مِن مِلءِ الأرض مِن مِثل هذا)).[73]

المعنى العام

يبين النص مرور رجل من المسلمين أمام النبي (صلى ا عليه وسلم)، وسؤاله لراوي الحديث عن رأيه في الرجل الذي مر من أمامه، وجواب الصحابي: إن هذا الرجل لجدير أن تجاب خِطبته إن خطب، وأن يسمع له إن تكلم، ومر رجل آخر، فسأل النبي الصحابي نفسه، ما رأيك في هذا الرجل ؟ فقال: إن هذا من فقراء المسلمين، فمن باب أولى إن خطب أن لا يستجاب لطلبه، وإن قال أن لا يسمع لقوله. فقال الرسول بعد أن سمع الجواب، ووضح الرأي السديد: إن الرجل الفقير أفضل من الرجل ذي المكانة والشرف بملء الأرض، دلالةً على الكثرة.

مظاهر الاتّساق

الوصل: ورد في أداة العطف الفاء، في قول: " مر رجل...، فقال...، فقال،...، فسكت رسول ا ...، ثم مر رجل، فقال رسول ا ،...،...، فقال رسول ا ...". حيث إن الفاء قد وصلت بين الجمل، ودلّت على التعقيب في المعنى؛ فالرسول (صلى ا عليه وسلم) عندما مر أمامه رجل، سأل ـ مباشرة ـ الصحابي (سهل بن سعد) بقوله: (فقال لرجل)، وكان جواب الصحابي مباشرة (أيضا) بدليل قوله: (فقال)، حيث عطف القول على السؤال، وهكذا في باقي النص. وأما الواو فقد وصلت بين الجمل التي ذكرها الصحابي عند رده على سؤال رسول ا (صلى ا عليه وسلم)، حيث قال: "هذا حري...، وإن شفع...؛ حيث يعني ذلك وصل معاني الجمل التي ذكرها في بيان صفة الرجل ذي المكانة العالية في المجتمع، ووصف الرجل الفقير. أما حرف (ثم) فقد دلّ على مرور رجل بعد سكوت رسول ا (صلى ا عليه وسلم) عند سماعه جواب الصحابي ووصفه للرجل الشريف، وكان ذلك بعد زمن قد يكون قصيرا أو غير قصير.

الإحالة: ورد في اسم الإشارة في قوله: "ما رأيك في هذا" و"هذا وا حري إن خطب أن ينكح..." و"هذا رجل من فقراء..." و"هذا حري إن خطب أن لا ينكح...". وهذه إحالة داخل النص إلى الرجل الذي مر أولا، من سؤال الرسول (صلى ا عليه وسلم)، وإشارة الصحابي إلى الرجل نفسه

ومدحه لغناه وحسبه ونسبه، أما الإحالة في السؤال المكرر فإلى الرجل الثاني الّذي مر أمام النبي (صلى الله عليه وسلم)، وذمه من الصحابي له بذكر حسبه ونسبه وفقره.

الحذف: ورد في قوله (صلى الله عليه وسلم): "هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا" حيث حذف من الجملة عبارة (يوم القيامة)؛ لأن السياق الذي قيلت فيه، يتطلب أن يكون التّفضيل يوم القيامة بالأعمال والسلوك.

الاتّساق المعجمي

التّكرار: ورد تكرار (هذا حري)، وهي عبارة تعني الجدارة والأصل، وهذا التكرار لبيان معنى الفضل في الدنيا أو في الآخرة. أما تكرار السؤال فهو لتوكيد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على بيان مقصوده، ومحاولته (صلى الله عليه وسلم) إثارة الصحابي حتى يبين للناس أن المنهج الصحيح في الحكم على الفقير والغني يكون بمقياس الإيمان، لا بالمال والسلطان والجاه.

مظاهر الانسجام

المقام: ورد في بيان مكانة الناس في الحياة الدنيا وفي الآخرة، حيث فضل الرسول الرجل الفقير على الغني؛ وذلك لأن هذا الفقير أفضل من الغني في إيمانه ودينه، ولا يعني ذلك تفضيل الفقير على الغني على الإطلاق، ودليل ذلك: أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يقل: خير من ملء الأرض مثله لا فقير فيهم.

القرائن المعنوية: ورد في العلاقة بين المسند (الفعل) والمسند إليه (الفاعل)، كما في قوله: "فقال رسول الله " حيث أسند القول إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، مما يؤدي إلى انسجام النص، وتتابع المعلومات في متتالياته. أما العلاقة بين المبتدأ (المسند إليه) والخبر (المسند) كما في: "هذا حري..." و"هذا خير..." فتثبت نسبة الخيرية إلى الرجل الذي كان فقيرا، وتثبت نسبة عدم التقدير إلى الرجل الفقير (في رأي الصحابي)، ونسبة التّقدير إلى الرجل الغني. أما علاقة النّسبة فترد في تقدم حروف الجر على الأسماء المجرورة، كما في قوله: "في هذا الرجل، من فقراء المسلمين، من ملء الأرض من مثل هذا "؛ حيث دلّ ذلك على أن الرجل واحد من الفقراء المسلمين بدلالة (من) على التبعيض، وجاءت (من مثل هذا) في موقع تفضيل الرسول (صلى الله عليه وسلم) للفقير على صاحب الشرف، وهي لبيان الجنس.[74] وأما الإضافة فقد دلت على تعريف النكرات للمفردات (ملء الأرض، مثل هذا، رأيك) وجعلت الإضافة للكلمات النكرات معنى يعود إلى المضاف إليه، وخصصته به. وقرينة التّبعية كما في العطف بين الجمل.

السّياق: قيل هذا النص في مقام بيان فضل أهل الإيمان يوم القيامة، وسيفهم المتلقي الحديث ضمن المعهود اللغوي الذي تلقاه، وذلك من خلال فهم كلمة (الفقراء) في المعنى المعجمي الذي يدل على نقص المال والحاجة، ولكن الرسول (صلّى الله عليه وسلم) قصد بالفقراء أهل الإيمان الذين لم ينعموا في حياتهم، ولم يسعوا إلى الحرام للحصول على المال، وقنعوا بما أوتوا، والدليل، أنّه (صلّى الله عليه وسلّم) قد ذكر عبارة (خير من ملء الأرض من مثل هذا) ولم يذكر الغنى أو الفقر، حيث إن المحذوف يدل عليه السياق، لكن السياق هنا لا يحتمل أي حذف؛ بسبب وضوح العبارة في أن الرجل الفقير أفضل من مثل هذا الشريف الغني بملء الأرض (دلالة على أن القياس ليس الغنى والفقر، ولكن الإيمان والعمل الصالح).

الأحاديث المتعلقة بعلاقة المسلم مع نفسه.

الحديث الأول: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم): ((لَن ينجِي أَحدا مِنكُم عملُه، قالوا ولا أنتَ يا رسولَ الله؟ قالَ: ولا أنا؛ إلا أن يتَغَمدنِي الله بِرحمة. سددوا وقَاربوا، واغدوا وروحوا، وشَيء مِن الدلجةِ، والقَصد القَصد تَبلُغُوا)).[75]

المعنى العام

يعني الحديث أنّه لن ينجي أحدنا ما يعمله في الدنيا من عمل صالح، ولكن الذّي ينجينا من عذاب الله تعالى هو رحمة الله تعالى علينا، حتّى إن النّبي (صلى الله عليه وسلّم) لن ينجيه سوى رحمة الله عز وجلّ. وعلى العباد أن يسددوا ويقاربوا في الأعمال الصالحة، وأن يغدوا ويروحوا، حتى يصلوا إلى ما يبغون إليه.

مظاهر الاتّساق

الوصل: ويظهر بين الجمل بوساطة واو العطف، وما لذلك من ربط للمعاني داخل النّص، بحيث إن القاريء أو المستمع سوف يفهم الحديث من خلال هذا الرابط، كما في قوله (ص): (لن.......،...، سددوا <u>وقاربوا</u>، <u>واغدوا وروحوا</u>، <u>وشيء</u> من...، <u>والقصد...</u>).[76]

الحذف: يبدو لنا من خلال السؤال الموجه من الصحابة (رضوان الله عليهم)، بسؤالهم للرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولا أنت يا رسول الله؟، أي ولا أنت ينجيك عملك من عذاب الله إلا رحمة الله؟ فكان السؤال تقريرا للجملة السابقة (لن ينجي أحدكم عملُه) فهذا المحذوف يفهمه المتلقي من صيغة السؤال (ولا أنت)، ومن الإجابة (ولا أنا) حيث قصد الرسول بذلك تقرير الجملة التي ذكرها (لن ينجي...).

أما قوله (صلى ا عليه وسلم): (إلا أن يتغمدني ا برحمة)، حيث حذف هنا بعد رحمة عبارة (منه)، فإن سياق النص يحتمل هذا الحذف المقدر. أما قوله (صلى ا عليه وسلم): (سددوا وقاربوا) فحذف منه لفظ (العمل) حيث التقدير: سددوا وقاربوا في العمل، وقد يكون المقصود بالعمل العبادة بأنواعها، لأنه أتبع الجملتين الفعليتين بقوله (وشيء من الدلجة)، ولا يكون ذلك إلا في جوف الليل؛ أي قيام الليل نصفه أو أقلّه، وهكذا حذف الفعل (الزموا) في قوله (صلى ا عليه وسلم): "القصد القصد"؛ أي الزموا القصد، والقصد هو الاعتدال في العبادة، حيث جاءت كلمة القصد في موقع المفعول به على الإغراء.

الاتساق المعجمي

التّضام: يظهر في قوله (صلى ا عليه وسلم): سددوا وقاربوا، واغدوا أو روحوا، فهو من التّلازم بين اغدوا (وهو من الغدو: أي وقت الصباح)، وروحوا من الرواح (وهو السير في الليل)، فهذا التّضام بين الفعلين يساعد المتلقي على فهم العلاقة بين السير صباحا وليلا، دلالة الحثّ على العمل؛ لأن العمل يتطلب حركة مجيءٍ وذَهابٍ في الصباح والليل.

مظاهر الانسجام

المقام: يبين النّص أن الرسول (صلى ا عليه وسلم) لن يدخل الجنّة إلا برحمة ا تعالى، مما يجعل المتلقي يفهم أن العمل الصالح الّذي يقوم به في الحياة الدنيا، إن قبله ا تعالى منه فهو الرحمة المقصودة في الحديث. والمقام جعل النّبي (صلى ا عليه وسلم) يستخدم عبارة (لن ينجي أحدا منكم عمله). وهو دلالة على أن قبول العمل من ا تعالى هو المنجي من العذاب.

القرائن المعنوية: ومنها: قرينة الإسناد من حيث العلاقة بين الفعل والفاعل في الجمل (لن ينجي أحدا منكم عمله) و(أن يتغمدني ا ُ...). وقرينة التّخصيص في المفعول به للأفعال: ينجي، يتغمدني، سددوا، قاربوا. والاستثناء في قوله) إلا أن...،). أما قرينة النّسبة ففي عبارات الجار والمجرور، وهي: (برحمة، من الدلجةِ). وهي تدل على الالصاق للباء، وعلى التبعيض لمن. كلّ هذه القرائن تتعاون مع قرينة الإعراب لفهم النص.

القرائن اللفظية: وتتعاون مع القرائن المعنوية ومنها الرتبة من خلال تقديم المفعول به (أحدا) على الفاعل، للدلالة على أهمية المسلم وإيمانه على عمله.

السياق: سيفهم المتلقي الحديث، ولا يتجاوز في فهمه، وذلك وفق المعهود اللغوي الذي يملكه، وهو أن الرسول لا يدخل الجنة بعمله فحسب، ولكن بقبول ا لهذا العمل منه (صلى ا عليه وسلم)، ومن ثم من المسلمين. وقد يكون لدى المتلقي معرفة دينية لمواجهة هذا الخطاب، بأن دخول الجنة برحمة ا قد عارضتها آيات كريمة، منها قوله تعالى: "وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون" سورة الزخرف/43، وقوله تعالى: "سلامٌ عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون " سورة النحل/16. مما يجعله يسحب هذه المعلومات من الذّاكرة، ويربطها بالخطاب المواجه. لكن السياق يربط دخول الجنة بقبول العمل من ا تعالى أولا.

الحديث الثاني: عن عبدا بن عمر(رضي ا عنهما) قال: أخذ رسول ا (صلّى ا عليه وسلم) بمنكبي فقال: ((كُن فِي الدنيا كأنك غَرِيب أو عابِر سبِيلٍ))[77].

المعنى العام

وجه الرسول (صلى ا عليه وسلم) موعظة مباشرة إلى ابن عمر (رضي ا عنهما)، يذكّره فيها أن يكون في هذه الدنيا، مثل الغريب الذي يأتي إلى بلد ما، أو مثل عابر السبيل الذي يمر على قرية أو مدينة لا يحمل معه إلا القليل من المتاع.

مظاهر الاتساق

الوصل: في هذا الحديث الشّريف أداة الوصل (أو) التي وصلت بين المعلومة الأولى، وهي أن يكون الإنسان في الدنيا مثل الغريب الّذي لا يحمل المتاع الكثير، ويرنو إلى أن يصل إلى وطنه أو بلده، والمعلومة الثّانية، وهي: أن يكون الإنسان المسلم مثل عابر السبيل الّذي يمر في بلدٍ ما أو في مكانٍ ما، وهو يتوق إلى أن يصل إلى هدفه الّذي من أجله خرج من وطنه.

التّشبيه: استخدمه (صلى ا عليه وسلم) حين طلب من ابن عمر أن يكون في هذه الدنيا في آماله وتطلعاته وأهدافه وسعيه إلى جمع المال مثل ذلك الرجل الغريب الّذي يأتي إلى بلد ما وليس معه. وكذلك الحال مع عابر السبيل الّذي يتوق إلى الوصول إلى هدفه الّذي من أجله ترك أهله ودياره، فوجه الشّبه بين حياة المسلم في هذه الدنيا وحياة الغريب أو عابر السبيل، هو الشّوق والتّعلق بما ترك، والشّوق إلى اللقاء من يحب، وقلة الزاد والمتاع الذي يحمله المسافر، والشّعور بقرب الوصول إلى الهدف.

مظاهر الانسجام

السّياق: يدل على أن المتلقي سوف يفهم المقصود ضمن المعهود اللغوي لديه، وهو: أن المسافر يعرف كم مضى من سفره، ولكنّه لا يعرف كم بقي من هذا السفر، فلذلك عليه أن

يكون مستعدا، ولا سيما أنه يشعر في كل لحظة، وفي كلّ خطوة، أنه يبتعد عن نقطة انطلاقه، ويقترب من نقطة النّهاية.

الخاتمـــة

توصل الباحث في هذه الدراسة إلى نتائج تتمثّل فيما يأتي:

1. أهمية التّحليل النّصي وأثره في العلاقات بين الجمل؛ وذلك بمظاهر الاتّساق كالإحالة والوصل والفصل، والتضام والحذف والاستبدال.
2. أصبحت مستويات التّحليل اللغوي للنص تتمثّل في المستوى التداولي، فضلا عن المستويات الأخرى كالمستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والنّحوي، والمعجمي، والدلالي. ويؤكّد المستوى التّداولي أهمية المتلقي في فهم النص ضمن سياقه، ويعد النص وحدة لغوية كبرى للتحليل اللغوي.
3. سعت هذه الدراسة إلى وضع ضوابط تتيح لها الخروج من نطاق الجملة إلى نطاق يربط بين جمل النّص، وهدفت هذه الدراسة إلى وضع هذه المنهجية في التّحليل في صور نظرية وتطبيقية، حتّى يمكن تطبيقها على النّصوص الأخرى.
4. ثبت في التّحليل أن اتّساق النّص وانسجامه ظهر على نحوٍ بارز في عناصر الوصل والحذف والإحالة والاتّساق المعجمي بعنصريه التضام والتّكرار، وفي المقام والقرائن المعنوية، والسياق، وقلّما نجد حالة الاستبدال في الحديث، إلا في أحاديث قليلة، ولم يأخذ التّشبيه والمجاز مساحة واسعة في الأحاديث إلا ما ندر.
5. أكّدت الدراسة أن أحاديث الرقاق يظهر فيها التّماسك بين الجمل والانسجام؛ وذلك لتحقق مقصود الرسول (صلّى ا عليه وسلّم) في ترقيق القلوب للمتلقين.
6. ظهر في بعض الأحاديث البعدان الزماني والمكاني في فهمه، وذلك بوجود عناصر الاتّساق والانسجام، وتراكيب الحديث اللغوية، ووجود بعض المفردات على المستوى المعجمي.
7. بينت الدراسة علاقة عناصر علم البيان كالمقام والمجاز والقرائن، وبعض الإشارات النّحوية بالمنهج النّصي، ولكن ذلك لم يكن نظرية مستقلة ذات قواعد وأسس، بل كانت أغلبها مجرد إشارات قد تطول وقد تقصر.
8. برز في تحليل الحديث أهمية دور المتلقي في تحليل النص وفك عناصره، بوساطة إدراكه للغة النّص وسياقه.
9. قد يقوم المتلقي بفهم النص لأول وهلة ضمن معهوده اللغوي، ومعلوماته التي يحملها حول صيغة النص وسياقه المحيط به، ووجد أن آلية فهم الأحاديث الشريفة بهذا الشكل، لا تبرز مقصود المتكلم الحقيقي في بعضها، مما يؤدي إلى فهم الحديث فهما خاطئا.
10. أثبتت الدراسة أهمية علم اللغة النّصي في تحليل الخطاب الديني، على الرغم من أن هناك تحفّظاتٍ، لدى بعض الباحثين المسلمين المعاصرين الّذين يترددون في الإفادة من منهجية علم اللغة النّصي، وتطبيق بعض عناصره على الخطاب الديني. وأثبتت الدراسة أن الوقوف على مظاهر الاتّساق والانسجام في فهم الحديث النّبوي الشّريف سوف يؤدي ـ وعلى نحوٍ فعال ـ إلى بيان مقصود الرسول (صلّى ا عليه وسلّم) في ترقيق قلوب المسلمين للخوف من ا تعالى في الحياة الدنيا.

الهوامش

(1) انظر: خطابي، محمد، 1988، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، ص3 وما بعدها؛ وبوجراند، روبرت دي، 1988، النص والخطاب والإجراء، ط1، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ص88.

(2) ذكر العسقلاني أن الرقائق والرقاق جمع رقيقة، وسميت هذه الأحاديث بذلك؛ لأن في كل منها ما يحدث في القلب رقة، واستدل العسقلاني برأي ابن المبارك والنسائي، حيث عبرا عن الرقاق بالرقائق، وذكر العسقلاني – أيضا – في نسخة معتمدة من رواية النسفي عن البخاري: والمعنى واحد، أي يقال: رقائق أو رقاق. العسقلاني، ابن حجر، 1989، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص275.

(3) أطلق بعض المعاصرين الإحالة المقامية على عبارة الإحالة إلى غير مذكور، وهي من الأمور الّتي تستنبط من المواقف، لا من عبارات تشترك معها كالإحالة في النص نفسه أو في الخطاب. والإحالة إلى غير مذكور أداة حاضرة لعلاج موقف يشتمل على احتمال لتعارض وجهات النظر بين طرفي الاتصال حول ما يحدث،كما في الاستفهام: ما هذا ؟ ولا مرجع لضمير المتكلم إلا التكلم

نفسه، ولا لضمير المخاطب إلا الحضور، ويتطلب استعمالها معرفة بالهوية بالنّسبة لطرفي الاتصال، ويتم ذلك في المحادثة أكثر من الكتاب.

(4) انظر: بوجراند، روبرت دي، النص والخطاب، ص 33؛ وخطابي، محمد، لسانيات النص، ص17.

(5) يهمنا في هذا المقام أن نذكر أن النحاة العرب قد اختلفوا في تقسيمهم للكلام إلى اسم وفعل وحرف. وما يهمنا في ذلك أن مفهوم النص لديهم كان يدور حول الجملة التي عبروا عنها بوصف الكلام، ولم يفرقوا بين الكلام والجملة أحيانا كما ورد لدى الزمخشري والجرجاني. لمعرفة تفاصيل هذه القضية، انظر: عبد اللطيف، محمد حماسة، د. ت، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، كلية دار العلوم، القاهرة،، ص17 وما بعدها؛ والنّجار، لطيفة إبراهيم، د. ت، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، دار البشير، الأردن، ص 37 وما بعدها؛ والدناع، محمد خليفة، 1991، دور الصرف في منهجي النحو والمعجم، جامعة قار يونس، ليبيا، بنغازي، ص49 وما بعدها؛ وأبو السعود، صابر بكر، 1988، النحو العربي: دراسة نصية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص61، باب الكلام والقول؛ وما ذكره عمايرة، خليل أحمد، 1984، في نحو اللغة وتراكيبها: منهج وتطبيق، ط1، عالم المعرفة للنشر، جدة، السعودية، ص73 وما بعدها، باب الجملة في اللغة العربية بين التوليدية والتحويلية؛ وأيوب، عبد الرحمن، د. ت، دراسات نقدية في النحو العربي، نشر وتوزيع مؤسسة الصباح، الكويت، ص1، ص125 وما بعدها.

(6) انظر: ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، 1952، دار الكتب المصرية، ج2، ص331.

(7) انظر:ابن هشام، محمد بن، 1998، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط1، تحقيق حسن حمد، ومراجعة أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص13 وما بعدها؛ وما تناوله في في موضوع الفرق بين الجملة والكلام لدى القدماء: الوعر، مازن، 1999، جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي،ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ص8 وما بعدها.

(8) انظر: الجزري، ضياء الدين بن الأثير، 1956، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ص201.

(9) انظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، د. ت، معاني القرآن، ط3، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرون، عالم الكتب، بيروت، ج2، ص68، حيث ذكر ذلك.

(10) انظر: سلطان، منير، 1983، الفصل والوصل في القرآن الكريم، دار المعارف، مصر، ص51.

(11) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، 1994، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق محمد رشيد رضا، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، ص141ـ151. (فصل فروق في الحال لها فضل تعلق بالبلاغة)؛ وما ذكره عبد المطلب، محمد، د. ت، جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ص175 وما بعدها، ص153، ص165، ص141، 159 على التوالي.

(12) انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، 1968، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، البابي الحلبي، القاهرة، ج3، ص365، وج1، ص290، ص187، ص386، وقد تناول في الصفحات الآنفة أدوات الفصل.

(13) انظر ما ذكرناه في: بوجراند، روبرت دي، النص والخطاب والإجراء، ص346 وما بعدها.

(14) انظر: Halliday M.A. K.And Ruqya Hasan, 1976, Cohesion in English, Longman, London. p. 227؛ وخطابي، محمد، لسانيات النص: مدخل على انسجام النص، ص23ـ 24.

(15) انظر: السابق نفسه، ص171وما بعدها.

(16) انظر: أحمد، محمد نايل، 1994، البلاغة بين عهدين في ظلال الذوق الأدبي وتحت سلطان العلم النظري، دار الفكر العربي، القاهرة، ص151؛ وعبد المطلب، محمد، 1994، البلاغة والأسلوبية، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط1، ص313ـ 328؛ ومحمد، أحمد سعد، 2000، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، ص255؛ والجطلاوي، الهادي، 1998، قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج ـ التأويل ـ الإعجاز، ط1، دار محمد الحامي للنشر والتوزيع، تونس، صفاقس، ص534؛ وعبد اللطيف، محمد حماسة، 1996، بناء الجملة العربية، ط1، دار الشروق، القاهرة، ص208.

(17) انظر ذلك في المصادر الآتية: الخطيب، جلال الدين القزويني، 1932، التلخيص في علوم البلاغة، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص209؛ والسكاكي، 1987، مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 276؛ والحنفي، إبراهيم بن محمد عربشاه عصام الدين، 2001، الأطول شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2، ص 74.

(18) انظر: Halliday ,M. A. K and R. Hassan, 1976, Cohesion in English, Longman, London, p.144

(19) انظر: بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص340.

(20) انظر: حميدة، مصطفى، 1997، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ص 196؛ وبوجراند، النص والخطاب، ص34، مقدمة المترجم تمام حسان.

(21) انظر: Halliday ,1976 ,p.13.

(22) انظر: عفيفي، أحمد، 2001، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص 116؛ والزناد، الأزهر، 1993، نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ص 118.

(23) انظر مفهوم المترادف في: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، 1993، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار المعارف، بيروت، ص97؛ وقدور، أحمد محمد، 1999، مدخل إلى فقه اللغة، ط3، دار الفكر، دمشق، ص296.

(24) انظر: عفيفي، أحمد، نحو النص، ص122؛ وخطابي، محمد، لسانيات النص، ص18؛ وبوجراند، النص والخطاب، ص300؛ وHalliday , 1976 , p. 88..

(25)) انظر: Halliday , 1976, p. 278؛ وعفيفي، أحمد، نحو النص، ص106؛ وخطابي، محمد، لسانيات النص، ص24.

(26) انظر هذا الرأي عند: ابن الأثير الجزري، الجامع الكبير، ج2، ص146 وما بعدها.

(27) انظر: عبد السلام، أحمد شيخ، 1992، التعامل النحوي الدلالي في التراكيب العربية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد التاسع، السعودية، ص388 ـ 413.

(28) انظر تفاصيل الطباق والتضاد في: الخطيب القزويني، التلخيص، ص347؛ والحنفي، الأطول: شرح تلخيص مفتاح العلوم، ج1، ص365، والجزري، ابن الأثير، الجامع الكبير، ج2، ص211 ـ218؛ والسكاكي، مفتاح العلوم، ص423 وما بعدها.

(29) انظر ما ذكره في هذا القول: عبد المجيد، جميل، 2000، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنّشر، القاهرة، ص21، فصل فكرة مقتضى الحال.

(30) انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص168؛ والموسى، نهاد، 1987، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ط2، دار البشير، الأردن، عمان، ص92-95.

(31) انظر: الحنفي، مصدر سابق، ص 184.

(32) انظر: دي سوسير، فرديناند، د. ت، فصول في علم اللغة، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص213 ـ 219؛ وما ذكره عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ص305 ـ 313.

(33) انظر: حسان، تمام، د. ت، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، الدار البيضاء، ص340 وما بعدها.

(34) انظر: بشر، كمال محمد، د. ت، علم اللغة الاجتماعي: مدخل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص96.

(35) انظر: بوجراند، النص والخطاب، ص379.

(36) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، د. ت، أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا،دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر، ص303، ص342؛ والسكاكي، مفتاح العلوم؛ وأبو علي، محمد بركات حمدي، 1983، البلاغة: عرض وتوجيه وتفسير،ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ص88.

(37) انظر: هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، 1969، دار النهضة العربية، القاهرة، ص236؛ وعبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ص65.

(38) انظر: الفهري، عبد القادر الفاسي، 1986، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية دلالية، ط1، منشورات عويدات، بيروت، ط1، ص378.

(39) انظر: أولمان، ستيف، 1987، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتعليق كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص92 وما بعدها.

(40) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، 1994، دلائل الإعجاز، ط1، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة للنشر، بيروت، ط1، ص60.

(41) انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، 1977، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الحلبي ودار الفكر، القاهرة، ج1، ص5.

(42) انظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص40.

(43) انظر: الخطيب القزويني، التلخيص، ص 23؛ والسكاكي، مفتاح العلوم، ص332؛ والأحنف، الأطول: شرح تلخيص المفتاح، ص126.

(44) انظر: الحسن، شاهر، 2001، علم الدلالة: السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، عمان،)، ص44، ص10، ص118، ص157.

(45) انظر: حسان، تمام، اللغة العربية: معناها ومبناها، ص36.

(46) انظر: السابق، ص191 ـ 404؛ وعبد اللطيف، محمد حماسة، 1983، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، كلية العلوم، جامعة القاهرة، القاهرة، ص309ـ 313 ؛ وحميدة، مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص161 وما بعدها.

(47) انظر: حسان، تمام، اللغة العربية، ص 201.

(48) انظر: السابق، ص204.

(49) انظر: السابق، ص205؛ وعلي، نبيل، 1988، اللغة العربية والحاسوب، تعريب زكي العربي، القاهرة، ص349، موضوع رتبة الكلمات داخل الجملة العربية.

(50) انظر: حسان، تمام، اللغة العربية، ص207؛ وعبد اللطيف، محمد حماسة، العلامة الإعرابية، ص314.

(51) انظر: حسان، اللغة العربية، ص 224-225.

(52) انظر: السابق، ص232؛ وقد توسع عبد اللطيف، محمد حماسة، العلامة الإعرابية، ص319-402، في القرائن وتضافرها في الشعر والنثر؛ وما ذكره مجذوب، عز الدين، 1998، المنوال النحوي: قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي للنشر، تونس، ص277 وما بعدها.

(53) انظر: أبو صفية، عبد الوهاب، 1989، دلالة السياق: منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ط1، لا ط، ص86.

(54) انظر: الرافعي، مصطفى صادق، 1976، تاريخ آداب العرب، ط1، لا ط،، ج2، ص72.

(55) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج2، ص404، ص553؛ وخليل، حلمي، 1986، العربية والغموض، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص57 ؛ وما ذكره الأصفهاني، الراغب، 1998، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد عيتاني، دارالمعرفة، بيروت، ص10 (مقدمة المؤلف) ؛ وما ذكره عرار، مهدي، 2001، انفتاح الدلالة في النص القرآني: وجه من وجوه الإعجاز المعجمي، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجيني، الولايات الأمريكية المتحدة، السنة السابعة، العدد السابع والعشرون، ص43-62.

(56) انظر: الجطلاوي، الهادي، قضايا اللغة في كتب التفسير، ص282وما بعدها.

(57) انظر: الخثران، عبدا بن حمد، 1988، ظاهرة التأويل في الدرس النحوي: بحث في المنهج، النّادي الأدبي، الرياض، ص85، ص95، ص97، ص115، ص 131 وما بعدها.

(58) انظر: Brown G & G. Yule, 1983, Discourse Analysis, p. 93.

(59) انظر: السابق، ص38؛ ؛ وما ذكره الموسى، نهاد، 1985، الأعراف أو نحو اللّسانيات الاجتماعية في العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الخرطوم، المجلد الرابع، العدد الأول، أغسطس، ص9 - 34.

(60) انظر ما ذكره فضل، يوسف، 1996، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ط1، الشركة المصرية للنشر، القاهرة، ص314.

(61) فتح الباري، ج11، ص 434، كتاب الرقاق، باب/41، رقم الحديث (6507).

(62) تناول ابن حجر العسقلاني هذا الحديث الشّريف، حيث رأى أن (من) في الحديث شرطية، وتأويلها قول ا تعالى في الحديث القدسي برواية أبي هريرة: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه. وقوله (ص): من كره...، فقد استبعد العسقلاني معنى كراهة ا تعالى الغفران للذي يكره لقاء ا ، وإرادته سبحانه لإبعاده من رحمته، وفسر معنى كره الموت بما ذكرته السيدة عائشة رضي ا عنها، من أن المقصود به حالة المحتضر عند الموت.انظر: فتح الباري، ج11، ص435 ـ ص439.

(63) انظر: الحسن، شاهر، علم الدلالة، ص51؛ حيث أورد ما ذكره فيرث حول التلازم من أن الكلمة تعرف بما يصاحبها أو يلازمها.

(64) انظر: حسان، تمام، اللغة العربية: معناها ومبناها، ص157. وقد تناول - أيضا - قرينة النسبة، وقرينة التبعية، والإسناد وأطلق عليها بقرائن التعليق.

(65) انظر في تفصيل قبض الروح، ونعيم أهل الجنّة، ومصير أهل النّار، وسؤال الملكين للإنسان في قبره، وغيرها من أحوال الآخرة: أيوب، حسن، رحلة الخلود (القاهرة، دار السلام، ط1، 2003)، وقد اعتمد الباحث على كتب الصحاح، وعلى كتاب نيل الأوطار للشوكاني، وكتاب الروح لابن قيم الجوزيه وغيرها من الكتب القديمة. وما ذكره العلي، أحمد محمد عبدا ، 1991، مشاهد القيامة في الحديث النّبوي، ط1، دار الوفاء للطباعة والنّشر، مصر، المنصورة، ط1، ص99، ص171، ص223.

(66) (الباري، ج11، ص478، باب (47)، رقم الحديث (6532) ؛ وثمة رواية أخرى عن ابن عمر (رضي ا عنهما) عن النّبي (صلّى ا عليه وسلم): "يوم يقُوم الناس لِرب العالَمِين" قال: يقوم أحدهم فِي رشحِهِ إِلَى أَنصافِ أُذُنَيهِ". حديث رقم (6531).

(67) ورد لفظ (العرق) في الحديث للدلالة على المسبب، ويراد به سببه، حيث يعرق الناس، بسبب شدة الموقف والهول. انظر المجاز المرسل وعلاقاته في: الزناد، الأزهر، دروس البلاغة العربية، ص56.

(68) ثمة أحاديث شريفة تذكر دنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس، فمنهم من يبلغ عرقه عقبه، ومنهم من يبلغ عرقه نصفه، ومنهم من يبلغ نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبته، ومنهم من يبلغ فخذه، ومنهم من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ فاه، ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه، ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه". ففي هذا الحديث الذي أخرجه الحاكم من حديث عقبة بن عامر رفعه، يستدل على أن المقصود بالعرق بهذا المقدار هو التهويل. انظر: الباري، ج11، ص480.

(69) فتح الباري، ج11، ص452، الباب الرابع والأربعون، رقم الحديث (6520).

(70) ثمة إشكالية في هذا المعنى تناوله ابن حجر العسقلاني، واستدل بقول البيضاوي: إن هذا الحديث مشكل جدا لا من حيث إنكار صنع ا وقدرته على من يشاء، بل لعدم التوقيف على قلب جرم الأرض من الطبع الذي عليه إلى

طبع المطعوم والمأكول، مع ما ثبت أن هذه الأرض تصير يوم القيامة نارا وتنضم إلى جهنم. (فتح الباري، ج11، ص454).

(71) البالام اسم للثور، أما النون فهو الحوت، زائدة الكبد هي القطعة المنفردة المتعلقة بها.

(72) انظر: فتح الباري،ج11،ص 456.

(73) العسقلاني، ابن حجر، السابق نفسه، ص405، حديث رقم (6497) ، باب رفع الأمانة.

(74) انظر: القضاة، شرف، 1988، الهدي النّبوي في الرقائق، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، ص165.

(75) الباري، ج11، ص329، باب (16) ، باب فضل الفقر، رقم الحديث (6447). وثمة روايات أخرى ذكرها البخاري في هذا الباب، تتحدث عن قول النّبي (صلى ا عليه وسلم): اطلعت في الجنة فرايت أكثر أهلها الفقراء، ووصف الصحابة حياة النبي وفقره في الحياة الدنيا. انظر الأحاديث رقم: (6448، 6449، 64450، 64451).

(76) انظر:: ابن هشام، أوضح المسالك، ج3، ص21، وقد استدل بقوله تعالى: " من أساور من ذهبٍ " الكهف/ 31.

(77) العسقلاني، صحيح البخاري بشرح فتح الباري، ج11، ص 355، باب القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث (6463)، وثمة روايات أخرى للحديث، منها: سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عملُه الجنّةَ، وأن أحب الأعمال أدومها إلى ا وإن قل؛ ورواية: سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل أحدا الجنةَ عملُه، قالوا: ولا أنت يا رسول ا ؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني ا بمغفرة ورحمة. وقد ذكر في هذا الباب ثمانية أحاديث، أكثرها مكرر وفي بعضها زيادة على بعض. رقم الأحاديث: (6461، 6462، 6463، 6464، 6465، 6466، 6468).

(78) ورد في شرح هذا الحديث تفاسير عدة ذكرها العسقلاني، فتح الباري، ج11، ص356-360. ومن هذة التّفاسير: أن يكون الحديث مفسرا لقوله تعالى: "" سلام عليكم ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون " أي ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة ا وتفضله عليكم، وكان سؤال الصحابة للنبي (ص) ولا ينجيك عملك مع عظم قدره، وقد رد (عليه السلام) إلا أن يتغمدني، وفي رواية يتداركني، بفضل ورحمة منه سبحانه، وقوله (ص): سددوا، أي أقصدوا الصواب، وقاربوا، أي لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملل فتتركوا العمل فتفرطوا. واغدوا أو روحوا وشيء من الدلجةِ، الغدو السير في النهار، والرواح السير من أول النّصف الثّاني من النّهار، والدلجة سير الليل، وذلك لعسر سير جميع الليل، فكأن في ذلك إشارة إلى صيام جميع النّهار، وقيام بعض الليل، وفيه إشارة إلى الحثّ على العبادة والرفق فيها. والقصد القصد؛ أي الزموا الطريق الوسط المعتدل.

(79) انظر: السابق نفسه، ص280، باب (3)، رقم الحديث (6416).

المصادر والمراجع

ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، 1952، دار الكتب المصرية.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، 1993، دار المعارف، بيروت.

ابن هشام، محمد بن، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط1، تحقيق حسن حمد، ومراجعة أميل بديع يعقوب، 1998، دار الكتب العلمية، بيروت.

أبو السعود، صابر بكر، 1988، النحو العربي: دراسة نصية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

أبو صفية، عبد الوهاب، 1989، دلالة السياق: منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ط1، لا ط.

أبو علي، محمد بركات حمدي، 1983، البلاغة: عرض وتوجيه وتفسير، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ص88.

أحمد، محمد نايل، 1994، البلاغة بين عهدين في ظلال الذوق الأدبي وتحت سلطان العلم النظري، دار الفكر العربي، القاهرة.

الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد عيتاني، 1998، دار المعرفة، بيروت.

أولمان، ستيف، 1987، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتعليق كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

أيوب، عبد الرحمن، د.ت، دراسات نقدية في النحو العربي، نشر وتوزيع مؤسسة الصباح، الكويت.

بشر، كمال محمد، د.ت، علم اللغة الاجتماعي: مدخل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

بوجراند، روبرت دي، 1988، النص والخطاب والإجراء، ط1، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة.

الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ط1، تعليق محمد رشيد رضا، 1994، دار المعرفة للنشر، بيروت.

الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق محمد رشيد رضا، 1994، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر.

الجرجاني، عبد القاهر، د.ت، أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر.

الجزري، ضياء الدين بن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، 1956، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.

الجطلاوي، الهادي، 1998، قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج ـ التأويل ـ الإعجاز، ط1، دار محمد الحامي للنشر والتوزيع، تونس، صفاقس.
حسان، تمام، د.ت، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، الدار البيضاء.
الحسن، شاهر، 2001، علم الدلالة: السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، عمان.
حميدة، مصطفى، 1997، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر.
الخثران، عبدا بن حمد، 1988، ظاهرة التأويل في الدرس النحوي: بحث في المنهج، النّادي الأدبي، الرياض.
خطابي، محمد، 1988، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي.
الخطيب، جلال الدين القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، شرح عبد الرحمن البرقوقي، 1932، دار الكتاب العربي، بيروت.
خليل، حلمي، 1986، العربية والغموض، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
الدناع، محمد خليفة، 1991، دور الصرف في منهجي النحو والمعجم، جامعة قار يونس، ليبيا، بنغازي.
دي سوسير، فرديناند، د.ت، فصول في علم اللغة، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
الرافعي، مصطفى صادق، 1976، تاريخ آداب العرب، ط1، لا ط.
الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1968، البابي الحلبي، القاهرة.
الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 1977، الحلبي ودار الفكر، القاهرة.
الزناد، الأزهر، 1993، نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء.
السكاكي، 1987، مفتاح العلوم، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
سلطان، منير، 1983، الفصل والوصل في القرآن الكريم، دار المعارف، مصر.
عبد السلام، أحمد شيخ، 1992، التعامل النحوي الدلالي في التراكيب العربية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد التاسع، السعودية.
عبد اللطيف، محمد حماسة، 1983، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، كلية العلوم، جامعة القاهرة، القاهرة.
عبد اللطيف، محمد حماسة، 1996، بناء الجملة العربية، ط1، دار الشروق، القاهرة، ص208.
عبد اللطيف، محمد حماسة، د.ت، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، كلية دار العلوم، القاهرة.
عبد المجيد، جميل، 2000، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنّشر، القاهرة.
عبد المطلب، محمد، 1994، البلاغة والأسلوبية، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة.
عبد المطلب، محمد، د.ت، جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة.
عرار، مهدي، 2001، انفتاح الدلالة في النص القرآني: وجه من وجوه الإعجاز المعجمي، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فيرجيني ، الولايات الأمريكية المتحدة، السنة السابعة ، العدد السابع والعشرون.
العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، 1989، دار الكتب العلمية، بيروت.
عفيفي، أحمد، 2001، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة
العلي، أحمد محمد عبدا ، 1991، مشاهد القيامة في الحديث النّبوي، ط1، دار الوفاء للطباعة والنّشر، مصر، المنصورة.
علي، نبيل، 1988، اللغة العربية والحاسوب، تعريب زكي العربي، القاهرة.
عمايرة، خليل أحمد، 1984، في نحو اللغة وتراكيبها: منهج وتطبيق، ط1، عالم المعرفة للنشر، جدة، السعودية.
الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، ط3، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرون، د.ت، عالم الكتب، بيروت.
فضل، يوسف، 1996، بلاغة الخطاب وعلم النّص، ط1، الشركة المصرية للنشر، القاهرة.
الفهري، عبد القادر الفاسي، 1986، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية دلالية، ط1، منشورات عويدات، بيروت.
قدور، أحمد محمد، 1999، مدخل إلى فقه اللغة، ط3، دار الفكر، دمشق.
القضاة، شرف، 1988، الهدي النّبوي في الرقائق، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن.
مجذوب، عز الدين، 1998، المنوال النحوي: قراءة لسانية جديدة، دار محمد علي للنشر، تونس.
محمد، أحمد سعد، 2000، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة.
الموسى، نهاد، 1985، الأعراف أو نحو اللّسانيات الاجتماعية في العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، الخرطوم، المجلد الرابع، العدد الأول، أغسطس.
الموسى، نهاد، 1987، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ط2، دار البشير، الأردن، عمان.
النّجار، لطيفة إبراهيم، د.ت، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، دار البشير، الأردن.
هلال، محمد غنيمي، 1969، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة.
والحنفي، إبراهيم بن محمد عربشاه عصام الدين، الأطول شرح تلخيص المفتاح، ط1، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، 2001، دار الكتب العلمية، بيروت.

الوعر، مازن، 1999، جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

Halliday, M.A.K. and Hassan, R. 1976. Cohesion in English, Longman, London.

Phenomena of Cohesion and Coherence in Discourse Analysis: The Prophetic Traditions in Sahiih Al-bukhari on the Subject of Delicacy

Asem S. Ali*

ABSTRACT

The study aims to integrate modern linguistic studies in the science of text with traditional linguistic legacy in the analysis of the phenomena of cohesion and coherence in religion discourse. It attempts to discover the areas of cohesion and coherence between the two, and points out relevant phenomena in analysis of text, specifically the Prophetic traditions on the subject of delicacy. The phenomena of cohesion and coherence in Arabic Language and it's signify analysis of text were explained.

The phenomenon of cohesion and coherence as one of the resent developments in discourse text is used in the analysis. Sub-system of phenomena are discussed in the light of nature rules of text in Arabic language. The study points out the phenomena of cohesion and coherence within traditional Arabic language that might equally fit into modern theory of text.

The study concludes that traditional Arabic linguistic has many elements of cohesion and coherence in the science of text analysis. The study attempts to refer the elements of cohesion and coherence to its relevant topic in Arabic language. It also confirms that the phenomena have criteria to determine its authenticity and suitability for implementation in any language. The study, in this respect, points out, the utility of this phenomena analysis of religion discourse, especially the Prophetic traditions on the subject of delicacy. It thus, suggests steps to be taken to solve some problems faced by addressee in understanding the text.

Keywords: Terminology of Cohesion, Terminology of Coherence, Methodology of Analysis, Application of Methodology, Analysis of Prophetic Traditions.

* International Islamic University Malaysia, Malaysia. Received on 31/12/2007 and Accepted for Publication on 2/7/2008.